توفيق الحكيم

سليمان الحكيم

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١ ــ محمد ﷺ (سيرة حوارية)	١٩٣٦
٢ ــ عودة الروح (رواية)	١٩٣٣
٣ ــ أهل الكهف (مسرحية)	١٩٣٣
٤ ــ شهر زاد (مسرحية)	١٩٣٤
٥ ــ يوميات نائب فى الأرياف (رواية)	١٩٣٧
٦ ــ عصفور من الشرق (رواية)	١٩٣٨
٧ ــ تحت شمس الفكر (مقالات)	١٩٣٨
٨ ــ أشعب (رواية)	١٩٣٨
٩ ــ عهد الشيطان (قصص فلسفية)	١٩٣٨
١٠ ــ حمارى قال لى (مقالات)	١٩٣٨
١١ ــ براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية)	١٩٣٩
١٢ ــ راقصة المعبد (روايات قصيرة)	١٩٣٩
١٣ ــ نشيد الأنشاد (كما فى التوراة)	١٩٤٠
١٤ ــ حمار الحكيم (رواية)	١٩٤٠
١٥ ــ سلطان الظلام (قصص سياسية)	١٩٤١
١٦ ــ من البرج العاجى (مقالات قصيرة)	١٩٤١
١٧ ــ تحت المصباح الأخضر (مقالات)	١٩٤٢
١٨ ــ بجماليون (مسرحية)	١٩٤٢
١٩ ــ سليمان الحكيم (مسرحية)	١٩٤٣
٢٠ ــ زهرة العمر (سيرة ذاتية ــ رسائل)	١٩٤٣
٢١ ــ الرباط المقدس (رواية)	١٩٤٤

٢٢ ـ شجرة الحكم (صور سياسية) ١٩٤٥
٢٣ ـ الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩
٢٤ ـ مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠
٢٥ ـ فن الأدب (مقالات) ١٩٥٢
٢٦ ـ عدالة وفن (قصص) ١٩٥٣
٢٧ ـ أرنى الله (قصص فلسفية) ١٩٥٣
٢٨ ـ عصا الحكيم (خطرات حوارية) ١٩٥٤
٢٩ ـ تأملات فى السياسة (فكر) ١٩٥٤
٣٠ ـ الأيدى الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩
٣١ ـ التعادلية (فكر) ١٩٥٥
٣٢ ـ إيزيس (مسرحية) ١٩٥٥
٣٣ ـ الصفقة (مسرحية) ١٩٥٦
٣٤ ـ المسرح المنوع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦
٣٥ ـ لعبة الموت (مسرحية) ١٩٥٧
٣٦ ـ أشواك السلام (مسرحية) ١٩٥٧
٣٧ ـ رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية) ١٩٥٧
٣٨ ـ السلطان الحائر (مسرحية) ١٩٦٠
٣٩ ـ يا طالع الشجرة (مسرحية) ١٩٦٢
٤٠ ـ الطعام لكل فم (مسرحية) ١٩٦٣
٤١ ـ رحلة الربيع والخريف (شعر) ١٩٦٤
٤٢ ـ سجن العمر (سيرة ذاتية) ١٩٦٤
٤٣ ـ شمس النهار (مسرحية) ١٩٦٥

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٦ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتيننتزا بريس) واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينينجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيبان — ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن ١٩٨١ .

الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الشيطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .

العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ .

الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .

السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شىء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان ـــ لندن .

الشهيـــد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزيـــة) جمع محمـــــود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة ـــ ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى ونـدر ونشر دار ماكملان ـــ لندن .

بنيت هذه القصة على كتب ثلاثة : « القرآن » و « التوراة » و « ألف ليلة وليلة » . وقـد سرت فيها على نهجي في « أهل الكهـف » و « شهر زاد » و « بجماليون » من حـيث استخدام النصوص القديمة والأساطير الغابرة استخداماً يبرز صورة في نفسي لا أكثر ولا أقل ؟

المنظر الأول

(فى صنعاء . شاطئ البحر .. الصياد قد رمى شبكته فى الماء وهو يجذبها ...)

* * *

الصياد : (**رافعاً رأسه إلى السماء**) اللهم إنك لتعلم أنى رميت شبكتى ثلاث مرات فوجدت فى الأولى حماراً ميتاً . وفى الثانية زيراً مملوءاً بالرمل والطين . وفى الثالثة أحجارا وقوارير ... اللهم ارزقنى من فضلك هذه المرة يا خير الرازقين ! (**يجذب الشبكة**) ما هذا ؟ قمقم نحاسى ؟ لا بأس .. شكراً لك يا ربى على كل حال ... هذا أبيعه فى سوق النحاس . فهو يساوى عشرة دنانير ذهباً .. (**يفحص القمقم**) عجباً .. إنه ثقيل ... يجب أن أفتحه وأنظر ما فيه ...

(يخرج سكينا ويعالج فتحه .. فلا يجد به شيئا غير دخان أسود كثيف يخرج منه صاعداً إلى السماء .. ويتجمع الدخان ثم ينتفض فإذا هو عفريت ..)

العفريت : لا إلٰه إلا الله سليمان نبى الله !.

الصياد : (**لا حراك به ولا نطق من الروع**) ؟

العفريت : من أنت ؟

الصياد : ؟...

العفريت : تكلم يا هذا ؟ أجب .. من أنت ؟

الصياد : صـ .. صـ ... صياد ..

العفريت : أنت الذى خلصتنى من هذا القمقم ؟

الصياد : نعم ... أنا ..

العفريت : أبشر إذَن يا صياد ...

الصياد : (**فى أمل**) أنعم وأكرم .. بماذا تبشرنى ؟

العفريت : بقتلك فى هذه الساعة شر القتلات .

الصياد : لا حول ولا قوة إلا بالله !... .

العفريت : أسمعت ما أقول ؟

الصياد : إنها بشارة لست لها بأهل !..

العفريت : بل أنت أهل لأكثر منها ...

الصياد : شكراً ... يا سيدى ... ما جريرتى ما ذنبى ؟

العفريت : أتريد أن تعرف القصة ؟

الصياد : أريد أن أعرف لأى شيء تقتلنى وقد خلصتك من القمقم وأخرجتك من أعماق البحر ؟

العفريت : هذا ما يأتيك بيانه لو أصغيت إلى قصتى .

الصياد : قل إذن وأوجز فى الكلام فإن روحى وصلت إلى قدمى !..

العفريت : أنا من الجن المارقين ... واسمى داهش بن الدمرياط ...

الصياد : تشرفنا ...

العفريت : وقد عصيت سليمان بن داوود فلم أذهب مع من ذهب من الجن إلى مملكة حيرام لإحضار خشب الأرز وخشب السرو لبناء بيت الرب . إنى طموح . إنى

مهيأ لأعمال أرفع من حمل الأحجار ونقل الأخشاب ... ولقد أمر بى سليمان وزيره « آصف ابن برخيا » فقادنى إليه ذليلا ، فلما صرت بين يديه ، نصحنى بطاعته والامتثال إليه ، فأبيت ، فحبسنى فى هذا القمقم ، وختمه بالرصاص وطبعه باسمه العظيم ، وأمر بى فحملونى وألقونى فى البحر . فأقمت ثلاثة أعوام ... فقلت فى نفسى من خلصنى أغنيته إلى أبد الآبدين ... فلم يخلصنى أحد . ودخلت فى ثلاثة أعوام أخرى . فقلت من خلصنى فتحت له كنوز الأرض ... فلم يخلصنى أحد . ومرت أربعة أعوام أخرى ... فقلت من خلصنى قضيت له حاجاته ... فلم يخلصنى أحد . فقلت آخر الأمر من خلصنى هذه الساعة قتلته ... فجئت أنت وخلصتنى .

الصياد : سبحان مقسم الأرزاق !..

العفريت : هذا حظك ... ما شأنى أنا فيه ؟!

الصياد : صدقت يا سيدى ... الذنب ذنبى ... أما أنت فقد

أديت الواجب عليك ...

العفريت : إنى لآنس فيك خلقا طيباً وروحاً لطيفاً . لهذا أود أن أتكلف من أجلك صنيعاً .

الصياد : (**مستبشراً**) جزاك الله خيراً ... أنعم علىّ بصنيعك أيها الكريم .

العفريت : تمن علىّ ...

الصياد : حقاً ؟... وتفعل ؟

العفريت : نعم . تمنّ علىَّ أية موتة تحبها وتتمناها ...

الصياد : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !..

العفريت : ثق أنى لو لم أستظرفك ما كنت أتكلف من أجلك شيئاً مثل هذا ...

الصياد : من حسن حظى أنك استظرفتنى ...

العفريت : نعم . أخبرنى الآن عن القتلة التى تتذوقها .

الصياد : أتذوقها !!...

العفريت : تكلم وأسرع ... ولا تضيع من وقتى أكثر مما ضيعت .

الصياد : صبراً عليّ يا سيدى . أنت الذى ضاع من وقته فى القمقم كل تلك الأعوام ... أتضن على وأنا مخلصك ... ببضع لحظات ؟!

العفريت : وما تصنع بها الآن هذه اللحظات ؟ لقد كانت فى يدك حياة واسعة ، ماذا صنعت بها أيها الخامل . غير أن حبستها كلها فى هذه الشبكة .

الصياد : حقاً ... لقد حبسنى خمولى فى هذه الشبكة ... ولكن طموحك يا سيدى قد حبسك فى هذا القمقم ؟!

العفريت : لأنى أسرفت وتمردت ...

الصياد : وأنا أيضا أسرفت وتواكلت ...

العفريت : نعم ... كلانا كان يستحق العقاب ... ولقد عوقبت أنا واستوفيت عقوبتى ... بقى عليك أنت أن توفى بجزائك ... والجزاء الحق لك هو أن تؤخذ منك تلك الحياة التى لم تعرف كيف تصنع بها شيئاً مذكوراً ...

الصياد : يا حول الله !..

العفريت : أليس هذا هو العدل ؟!

الصياد : هو العدل .. ولا أملك حق الاعتراض ؟! لكن يا سيدى جعلت فداك ! أتعاقب أنت بالحبس .. وأعاقب أنا بالإعدام ؟..

العفريت : وماذا كنت تريد لى إذن ؟

الصياد : كل خير ...

العفريت : إن أقصى عقوبة لى هى الحبس .. لأنى لا أعدم ولا أموت ...

الصياد : لا تموت ؟!.

العفريت : أنسيت أنى من مادة لا تعرف الموت ؟ إنى لا أموت ولكن أتشكل ...

الصياد : تتشكل ؟.

العفريت : فى صور مختلفة ... أنا الآن ظاهر لك فى الصورة التى تستطيع أن تبصرها وتفهمها وتدركها .

الصياد : يا للعجب ! أو تستطيع إذن أن تتخذ صوراً أخرى ؟

العفريت : أستطيع أن أبدو لك إذا شئت فى صورة حمار هائل أو جمل هائج أو قطة سوداء ...

الصياد : ولماذا بربك لا تبدو لى فى صورة سمكة كبيرة سمينة ؟

العفريت : تبيعها فى السوق بعشرة دنانير ذهباً .؟

الصياد : آه يا سيدى الكريم ! ماذا عليك بالله لو أنك فعلت ذلك ؟ هذا أمر لا يكلفك جهداً ... أن تصير سمكة لبضع لحظات . حتى أبيعك . ثم تنقلب عائداً كما كنت ، بعد أن أقبض الثمن ...

العفريت : تقبض الثمن ذهباً ، والمشترى يقبض السمكة هواء ... كلا يا سيدى . إنى عفريت ذو شرف ...

الصياد : (**يتنهد**) هذا أيضاً من سوء حظى .

العفريت : ماذا تقول !

الصياد : أقول هذا من حسن حظى ... أو من سوئه ... لست أدرى والله شيئاً مما أنا فيه الآن ... عافاك الله يا سيدى ... شرفك هذا الذى تحرص عليه فى معاملات السوق والتجار . أحاول عبثاً أن أظفر

بيعضه وأنا منقذك من أعماق البحار ...

العفريت : أستعود إلى سيرة الإنقاذ مرة أخرى أيها الأحمق ؟! أتحسب أنك أنقذتنى ؟ ألا فاعلم يا هذا ... أن الحياة الحقيقية لمثلى ليست فى الانطلاق الهائم فى الفضاء ... إنما هى فى التركز والتكريس لخدمة غرض نفيس ...

الصياد : (**يلتفت إلى البحر**) انظر ... انظر ...

العفريت : (**فى رعدة**) ويلاه !..

الصياد : ما هذه السفن العظيمة ؟

العفريت : (**فى همس**) سليمان !...

الصياد : (**فى همس**) وافرحتاه !. جاء الفرج .

العفريت : ماذا تقول يا صياد النحس ؟... لم يزل لدىّ الوقت الذى يكفى لقتلك أشنع القتل ... استعد ...

الصياد : وماذا تستفيد من قتلى ... اهرب يا سيدى بجلدك قبل أن يأتى الملك سليمان !.

العفريت : أهرب أين أيها الأبله !.. إن من حبسنى يستطيع أن يأتى بى من أقاصى السحب وأغوار الأرض ..

الصياد : وماذا أنت صانع إذن ؟

العفريت : لست أدرى .

الصياد : لهفى عليك يا سيدى العفريت !.

العفريت : اسمع أيها الصياد .. أنت فى مقدورك إنقاذى ...

الصياد : أنا ؟!

العفريت : نعم أنت . ويجب أن تنقذنى لأنك بذلك تشترى حياتك .

الصياد : فلنتفق يا سيدى على الثمن أولا فقد سبق أن وقع بيننا خلاف بسيط على ثمن الإنقاذ السابق .

العفريت : قبل كل شيء أحب أن تكون ذكيا وتفهم أخيراً أنك لم تنقذنى قط بإخراجك إياى من القمقم .. فغضب النبى سليمان علىّ لم يزل قائما ... وخروجى من حبسه بغير إذنه سيزيد ولا ريب من نقمته وغضبته .

الصياد : وما العمل ؟

العفريت : لست أرى غير حل واحد ... أن أعود إلى القمقم وتختمه على كما كان .. ثم تجثو على أقدام سليمان

فتتشفع لى وتطلب العفو عنى ... فإذا نجح سعيك
فإنى أعطيك ما تشتهى نفسك .. وإذا لم تنجح
فحسبك أنك أديت واجبك ..

الصياد : وإذا ختمت عليك القمقم ثم رميت به وبك فى البحر
كما كنت وكان .. وكفيت نفسى المؤونة ورجعت
إلى شبكتى وحرفتى فى أمان الله !..

العفريت : لن تفعل ذلك .. أنت رجل أحمق ولكنك ذو
شرف !.

الصياد : غلبتنى ... ادخل قمقمك وأمرى إلى الله !..

(يتحول العفريت إلى دخان ويدخل القمقم النحاسى ويختم عليه الصياد كما كان ويحمله فى يده .)

[فاصل موسيقى]

(تسمع أصوات دانية ... فيختفى الصياد بقمقمه وشبكته ... ويظهر الكاهن صادوق والوزير آصف بن برخيا ...)

صادوق : ألم تجده خلف هذه الرمال ؟

آصف : لم أر له أثرا .

صادوق : لعله فوق هذه الشجرة ...

آصف : لقد ضعف بصرك يا صادوق ... إنها شجرة جرداء لا تخفى شيئاً ..

صادوق : ماذا جرى إذن لهذا الهدهد اللعين !

آصف : لست أدرى .

صادوق : متى أمرك سليمان بإطلاقه ؟

آصف : فى الضحى وقد تراءى لنا الشاطئ .

صادوق : لعله ضل عن موضع الماء فى هذه الفيافى الشاسعة ؟

آصف : إذا ضل عن موضع الماء فإنه لا يضل عن موضعنا نحن .. لماذا لم يعد إلينا حتى الساعة .

صادوق : أتدرى لماذا؟ لقد تذكرت الآن. ألم يقل لك هذا الراعى الذى استقبلنا عند المرسى؟.. لقد أبصر الهدهد وهو آت من جهة البحر .. ورآه قد انحط إلى جوار هدهد آخر فوق هذه الشجرة.. ثم طارا معاً ..

آصف : أمره إذن إلى الملك سليمان ...

صادوق : أين هو الملك ؟

آصف : صه !... إنه خلفك ولا تراه ؟!

صادوق : أيها النبى !..

(يدخل سليمان وهو يضحك)

سليمان : **(يضحك وهو ينظر إلى الأرض كأنه يتبع شيئاً فوق رمالها ...)** ؟

صادوق : أتسخر منى ومن ضعف بصرى أيها النبى ؟

سليمان : منك أنت أيها الكاهن صادوق ! بل منا جميعاً ... من آصف رئيس جيشى ومن جيشى ومن نفسى ... نحن جميعاً ضعاف البصر ...

(يضحك ثم يضحك ....)

آصف : لماذا أيها الملك ؟

سليمان : أصغ ... أصغ ... أصغ إلى هذه النملة ؟ إنها تصيح فيهم ... ألا تسمعون صياحها ؟.

صادوق : أتسمع شيئاً يا آصف ؟

آصف : وأنت ؟!

سليمان : اسمعوا إنها تصيح بأعلى صوتها ...

صادوق : (**يبحث حوله**) بأعلى صوتها ؟...

سليمان : أليس كلاما بليغاً ؟...

صادوق : يا نبى الله !...

سليمان : (**يضحك**) لماذا لا تضحكون مثلى من قولها ...

آصف : اضحك يا صادوق !

صادوق : اضحك أنت أولا ...

سليمان : (**يرفع رأسه**) اذهب يا آصف إلى جنودك وأخبرهم بما قالت ..

آصف : أيها الملك ..

صادوق : اذهب يا آصف كما أمرك وخبرهم بما قالت ..

آصف : (**كالمخاطب لنفسه**) قالت ماذا ؟

صادوق : (**يضحك فى كمه من آصف**) ؟

سليمان : (**يرفع رأسه**) عفواً وصفحاً .. عفواً وصفحاً ... يا أصحابى ... نسيت أنكم ثقال السمع . آه لو أعطينا القدرة على سماع كل ما فى هذا الكون من

أصوات ؟ إنها تقــول : ﴿ يــا أيها النمل ادخلــوا مساكنكم لا يَحطِمَنَّكُم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعرون ﴾ .

صادوق : إنك لتعرف لغة النمل وتحكم الجن والإنس .

سليمان : هذا من فضل ربى .

صادوق : لقد جعل فى يدك القدرة وفى رأسك الحكمة

سليمان : الحكمة ! آه أرجو أن تظل فى رأسى طويلا ... إنى لأخشى عليها من عدو ... لست أتبينه بعد !!

صادوق : لا تخش يا سليمان شيئاً .. فأنت نبى الله المنزه عن الخطأ . المعصوم من الزلل ..

سليمان : تخدع من بهذا الكلام أيها الكاهن ؟

صادوق : لسـت من الحمق حتى أجرؤ على خداعك أنت ...

سليمان : ولكنك تجرؤ على خداع الناس .

صادوق : إنهم لا يؤمنون إلا إذا خدعوا .

سليمان : تلك حكمة كاهن محترف . إنك تعلم يا صادوق أن الحكمة عندى هى التى تبنى على الحقيقة وتقوم على

الصدق ..

صادوق : أو ليس هنا الفرق بين كاهن ونبى ؟

آصف : (**يعود**) أيها الملك ! أيها الملك !..

سليمان : ماذا تريد يا آصف ؟

آصف : الهدهد ... قد عاد ...

سليمان : لأعذبنَّه عذاباً شديدا ... جئنى به ؟

آصف : (**يشير فيأتى أحد أتباعه حاملا الهدهد** ...)

سليمان : (**للهدهد**) أين كنت ؟ وأين موضع الماء الـذى أرسلتك تبحث عنه وتدلنا عليه ؟أجب ؟ولا تخفض رأسك وذنبك ؟ خبرنى ما حجتك وما عـذرك ؟ (**يشمه**) آه ... ما هذا العطر العجيب الذى ينبعث من ريشك ؟أخبرنى بالصدق ... ماذا تقول ؟ ذلك الهدهد الآخر الذى حططت إلى جواره .. قادك إلى أين ؟ يا للعجب ؟ يا للعجب ..

(**صادوق وآصف يتبعان الحديث فى اهتمام**)

صادوق : أين قاده أيها النبى ؟

سليمان : صه ... صه !.. لا تقطعوا حديثه ... تكلم أيها الهدهد ؟. امرأة جميلة تحكمهم ؟.. وأوتيت من كل شيء يزهو به الملوك ، ولها عرش عظيم من ذهب وفضة مكلل بالجواهر ...

آصف : أين هذه البلاد أيها الملك ؟

سليمان : صه ... دعه يخبرنى ... أجب ... من هى ؟ ملكة سبأ ...

صادوق : سبأ ...

آصف : لا علم لى بخبر هذه البلاد ...

صادوق : بأى دين يدينون !

سليمان : أجب أيها الهدهد ! ماذا ؟ يمجدون الشمس ؟!

صادوق : أو لم يسمعوا بعد هناك بدين سليمان !!

آصف : أهناك ملك وعرش لم يخضع لمجد سليمان الذى دانت له ملوك الحثيين وملوك آرام وخدمه ملك صور حيرام وملك باشان وملك الأموريين وتسلط على جميع الممالك من النهر إلى آخر أرض فلسطين . سليمان

المتعاظم على كل ملوك الأرض فى الغنى والحكمة ...

صادوق : نعم .. سليمان الذى التمست وجهه كل الأرض لتسمع حكمته التى جعلها الله فى قلبه ...

سليمان : (**كأنه لا يصغى إليهما**) أيها الهدهد !. سننظر أصدقت أم كذبت !. يا صادوق ... اكتب كتابا باسمى واختمه بختمى ... ادع فيه ملكة سبأ إلى المجئ إلىّ وعرّض أمرها علىّ ... واربط الكتاب بساق الهدهد ثم أطلقه فى الفضاء ...

صادوق : (**يتناول الهدهد**) سأفعل يا نبى الله !

(**يخرج**)

(يظهر الصياد متردداً يتعثر فى مشيته وفى يده القمقم)

آصف : (**يلتفت ويصيح**) من أنت أيها الرجل ؟..

الصياد : أنا ... صياد ...

آصف : ليس لنا بك من حاجة ...

الصياد : إنى ... ألتمس الملك سليمان ؟..

آصف : ابتعد أيها الرجل ...

سليمان : بل ادن ... ما شأنك ؟..

الصياد : أأنا ... فى حضرة الملك سليمان ؟..

سليمان : نعم .. ما حاجتك ؟

الصياد : أيها الملك ... إنى صياد فقير ... وإنى لأسمع عن عدلك وحكمتك ... وأريد أن أعرض عليك قضية ، راجيا أن تنصفنى ، كما أنصفت تلك الأم التى نازعتها فى ولدها امرأة أخرى ... ألست أنت الذى حكم ذلك الحكم العادل .. فأمرت بأن يشطر الولد شطرين وأن يعطى شطر للواحدة وشطر للأخرى ... وبذلك ظهر الحق . إذ قالت الأم الزائفة : اشطروه فلا يكون لى ولا لغيرى ... وقالت الأم الصادقة بل أعطوها الولد حياً . وليكن لها ولا تميتوه ... أنا أيضاً أيها الملك الحكيم أسألك أن تقضى فى أمرى بمثل هذا الحكم .

سليمان : ومن غريمك وخصمك ؟

الصياد : أنت .

سليمان : أنا ؟

الصياد : نعم أنت .

سليمان : ابسط قضيتك ..

الصياد : إنى رجل رزقه فى شبكته .. فإذا ألقيت بشبكتى فى البحر ووقع فيها شىء من الأشياء أيكون لى أم لا يكون ؟

سليمان : أرنى ماذا وقع لك ؟

الصياد : هذا القمقم أيها الملك .

سليمان : أجل .. أجل .. أدركت ما تعنى وما تريد ..

الصياد : أليس هو ملكى ؟

سليمان : ألا ترى عليه اسمى وخاتمى ؟

الصياد : عليه اسمك وخاتمك أيها الملك ..
ولكنك ألقيت به فى البحر فخرج عن مِلكك ثم وقع فى شبكتى فصار ملكى ...

سليمان : إذا شئت فلك القمقم بنحاسه ..

الصياد : وبما فيه .

سليمان : أتعلم ما فيه ؟

الصياد : أعلم .

سليمان : أترى من حقك أن تملك الروح المحبوس داخل الإناء ؟ ألا ترى العدل أن تأخذ الإناء وتعطيني الروح .

الصياد : إن الله لم يرزقني الإناء فارغاً .

سليمان : (**يطرق لحظة ثم يرفع رأسه**) ربما كان الحق في جانبك أيها الصياد . إن الله إذ يمنحنا ذلك الإناء الكبير وهو جسدنا لا يمنحنا إياه خاليا من الروح .. لكن اسمع ... هنالك شرط ...

الصياد : ما هو الشرط أيها النبي ؟

سليمان : إن الله ليحمل الجسد تبعات أعمال الروح .. إذا أحسنت عاد على الجسد إحسانها ، وإذا أساءت عادت عليه إساءتها ... أفهمت ما أعني ...

الصياد : أيها الملك ؟

سليمان : إليك حكمي أيها الصياد وأرجو أن يكون عادلا ...

هذا القمقم لك بما فيه ... لك إذا شئت أن تطلق منه الجنى المحبوس ... ولكن ... فلتتحمل أنت عواقب عمله ... إذا أحسن أو أساء !.

الصياد : لكن ... أيها ... النبى ...

سليمان : لست أقبل رجوعاً فى هذا الشرط . إليك جنى يحمل المواهب والعبقرية والقدرة ، إذا أخذته فاحمل آثار فعله ، لن يكون أحد غيرك مسئولاً عن مصيرك . إذا أهلكك أو أسعدك فلا شأن لنا به ولا بك . إذا أفسد فى الأرض فأنت المذنب وإذا أصلح فأنت المثاب .

الصياد : يا مولاى ! لم يقع فى حسابى هذا كله إنما هو وعد بدر منى للعفريت أن أسألك خلاصه وأعمل على إنقاذه ...

سليمان : أنت الذى يملك الآن إذا شئت أمر إطلاقه أو حبسه .

الصياد : ولكن ... أيها النبى كيف أتحمل عواقب أعماله ونتائج أفعاله ؟.. منذا يضمن لى حسن تصرفاته ...

سليمان : هذا ما لا دخل لى فيه ... لقد خيرتك وعليك أنت

الاختيار .

الصياد : يا ربى ! لقد أوقعت نفسى فيما لا قبل لى به ... لقد وعدته ووثق بى وبشرفى ... كيف أحنث بوعدى الآن ؟..

سليمان : أمامك الآن : شرفك فى كفة ومصيرك فى كفة ... تخير وليس لى عليك اعتراض ...

الصياد : أختار الشرف وأمرى إلى الله وإليك ...

سليمان : أحسنت أيها الصياد ...

الصياد : ولكن لى شرطاً عليك أنا أيضا أيها الملك ...

سليمان : أى شرط ؟

الصياد : أن أكون أنا والجنى فى خدمتك .. وأن أبقى فى قصرك دائماً تحت رعايتك ... حتى لا يفتننى العفريت بكنوزه ويغرينى بغواياته ... فأجنح عن شاطئ السلامة وأضل سواء السبيل ... لا أريد أن أستخدم قدرته السحرية إلا بوحيك أنت وإلهامك ومن أجلك أنت وعزك وسلطانك ... أما أنا فلا

أطلب لنفسى شيئا إلا الحياة فى كنفك والعيش بالقرب منك ...

سليمان : لك ذلك ولكن .. لن أخليك أبداً من تبعة أعمال الجنى ولو استخدمته بإذنى ومن أجلى .. فإن إخفاقه يقع على رأسك أنت .. ونجاحه تثاب عليه أنت ...

الصياد : قبلت وليهدنا ربنا أنا والعفريت ..

(يطلقه من القمقم ويتصاعد الدخان)

الجنى : (**يخرج صائحاً**) التوبة .. التوبة .. يا نبى الله !..

المنظر الثانى

(فى سبأ . قاعة العرش فى قصر الملكة . (بلقيس) على عرشها ، يحف بها وزراؤها ورؤساء جيشها . ويجلس عند أقدامها الأمير الأسير (منذر) ...)

* * *

بلقيس : لقد أفسحت لكم فى الوقت لتفكروا ملياً فى أمر ذلك الكتاب الذى ألقاه الهدهد . وقد انقضت أيام . وآن الأوان فيما أرى أن تقطعوا برأى .

رئيس الجيش : إنى لم أزل عند رأيى الأول يا مولاتى .

بلقيس : الحرب ؟

رئيس الجيش : نحن أولو بأس شديد أيتها الملكة . ولنا جيش قوى . فلماذا نذعن لسليمان ؟

بلقيس : هذا رأى رجال الجيش دائما . فما رأيكم أنتم أيها الوزراء !

الوزير الأول : الرأى موكول إليك أيتها الملكة .

بلقيس : لقد سبق أن ذكرتم لى ذلك مرات . فأنتم ترون من حسن السياسة أن توكلوا الرأى إلى دائماً فى الجسيم من الأمور . ولكن الواجب يقضى على فى مثل هذا الموقف الخطير أن أتذكر على الأقل أن لكم رؤوساً فوق المناكب ، قد تستطيع أن تفكر معى وتدبر ...

الوزير الأول : ولكنك تعرفين يا مولاتى أن لك نفساً تضىء الظلمات ، وإحساساً وذكاء طالما هدياك إلى ما ينبغى أن يصنع فى أحرج الأزمات ... إن بلاد سبأ ما بلغت هذا الشأو إلا بفضل « بلقيس » وقلبها وشعورها ...

بلقيس : إنما أريد الآن أن أصغى إلى صوت عقولكم ...

الوزير الأول : هنالك أحوال يا مولاتى يكون من العقل فيها أن

تصمت عقولنا .

بلقيس : لقد قلت لكم أول مرة إن الحرب وبال ، وإن سليمان ملك قوى الشوكة عظيم السلطان . فإذا ظفر بنا ودخل ديارنا ، خربها ودمرها وجعل أعزة أهلها أذلة . ولكن رئيس جيشى كما سمعتم يصر على رأيه . واثقاً من شدة بأسه ، طامعاً فى النصر على صاحب العدوان ...

رئيس الجيش : أجل يا مولاتى . ما نفع الجيش إذن ، إذا لم يهب ليدفع عدوان المعتدين ؟

بلقيس : قوة الجيش لا تبرر الإسراع إلى استعماله فى كل حين ، الصلح . السلام . لا شىء خير من السلام إذا جثمت خلفه قوة الجيش تحميه وترعاه ...

الوزير الأول : إن لم يكن قولك هذا يا مولاتى هو صوت العقل ، فكيف يكون صوته إذن ؟...

بلقيس : (**تبتسم راضية وتلتفت ناظرة إلى وجه الأمير**

الأسير منذر) ؟

(يدخل أحد الأتباع ويسر فى أذن بلقيس كلاما)

بلقيس : عادوا بهذه السرعة ؟!... أدخلهم ... (**تلتفت إلى رجالها**) أصغوا إلى ... لقد كتمت عنكم أمراً . إنى يوم تلقيت كتاب سليمان ، خطر لى من ساعتى أن أبعث رسلا يحملون هدية منى إليه ، حتى أتبين حقيقة غرضه . والآن قد عاد الرسل ... فاستمعوا إلى ما جاءوا به ...

(يدخل الرسل ويتقدم كبيرهم إلى الملكة بالتحية ويقدم الهدية)

الرسول : أيتها الملكة ..

بلقيس : ما هذا ؟

الرسول : الهدية يا مولاتى ... قد ردها الملك سليمان ... قائلا لنا : لا حاجة بى إلى هديتكم ولا وقع لها عندى ... ارجعوا إلى بلقيس وقومها ...

ولنأتينكم بجنود لا قبل لكم بها ... إذا لم تأت
هذه الملكة إلىّ وتعرض أمرها على ...

الرسول مستمرا: الفضة والذهب فى أورشليم مثل الحجارة ،
والأرز كالجميز الذى فى السهل من الكثرة ...
ولسليمان ألف وأربعمائة مركبة واثنا عشر ألف
فارس وأربعة آلاف مذود خيل .

بلقيس : **(لرجالها)** سمعتم ...

(تشير إلى الرجل بالانصراف)

رئيس الجيش : الجواب على هذا ...

بلقيس : أعرف جوابك أنت ... أمن جديد لديكم يا أهل
السياسة ؟

الوزير الأول : ماذا يريد الملك سليمان على وجه التحقيق ؟

بلقيس : هذا هو السؤال الذى ألقيته على نفسى منذ
اللحظة الأولى . ولعلكم لو فعلتم مثلى ... ما
احتجتم إلى كل هذا الوقت للتأمل والتفكير .

رئيس الجيش : وما جدوى هذا السؤال ... الأمر ظاهر ...

ملك قوى يستضعف بلاداً طمع فيها ...

بلقيس : ولماذا لا نفهم مراده على وجه آخر .. ملك غنى يستضيف ملكة طمع فى صداقتها ...

الوزير الأول : حقاً يا مولاتى ... حقاً ما السياسة إلا هذه : براعة تفسير المقاصد ومهارة فهم المرامى تبعاً لمقتضى الحال .

بلقيس : إذا أردتم رأيى ... فإنى أقول لكم ما من بأس مطلقا فى أن نلبى دعوته الكريمة وأن أقبل زيارته شاكرة . فلا شىء أحب إلى من رؤية مملكة سليمان العظيم ... ومعاينة ما سمعت عنه من غرائب . إن سليمان ليستحق الثناء إذ أتاح لى تحقيق أمنية كامنة ورغبة قديمة ...

(تشير بيدها علامة فض المجلس)

(الجميع يخرجون ماعدا الملكة والأمير الأسير)

بلقيس : **(تلتفت إلى أسيرها)** أف !... أرأيت

يا منذر ؟

(تتقدم وصيفتها الأولى شهباء تتبعها الوصائف حاملات أدوات الزينة ...)

شهباء : **(وهى تنظم شعر مولاتها)** مولاتى .. إنك تجهدين نفسك كثيرا .

بلقيس : صدقت يا شهباء . ولكن ... ماذا أصنع وهم يوقرون كاهلى بالتبعات ؟! ماذا تقول يا منذر فيما صنعت الآن ؟

منذر : ولماذا تطلبين رأيى فى تصرفاتك ؟

بلقيس : ألا يعجبك قليلا بغض ما أفعل ؟!

منذر : عجبى هو أنك تحاولين دائما أن تبهرى عينى ...

بلقيس : **(كالهامسة)** أحاول ...

منذر : لست فى حاجة أن ترينى ذلك فى كل لحظة . إنى لم أنكر أنك ذكية ، لبقة ، ماهرة ... إنى معترف أنك ملكة عظيمة ...

(بلقيس تشير إلى الوصائف ما عدا

شهباء ....فيخرجن . وتتناول المرآة بيدها وتنظر فيها ...)

بلقيس : (**وهي ترتب شعرها وتلمس نحرها**) ملكة عظيمة !... أليس هناك شيء غير ذلك ؟! ماذا ترى يا منذر ... فى هذا العقد على نحرى ... وفى هذه اللآلئ ، على شعرى ...

منذر : ؟

بلقيس : وفى هذا الشذى المتضوع من عطرى ... تكلم ... لماذا تسكت هكذا ؟

منذر : تطلبين رأيى أيضاً فى هذا ...

بلقيس : و لم لا ؟

منذر : أأستطيع أن أزعم لنفسى المعرفة والحكم فى هذه الشؤون ؟!

بلقيس : حسبى منك أن تبصر وأن تقول لى إنك تحبها أو لا تحبها ...

منذر : (**ينهض**) أتأذنين لى أيتها الملكة ... .

بلقيس : لا ... بل ابق ... أنت تعلم أنه لا يسوؤنى قط بقاؤك .

منذر : ألا تراك تسرفين فى إبقائى إلى جوارك دائماً ... أحضر قضاءك وحكمك وسياستك و .. وزينتك ...

بلقيس : وما الضرر ؟ ألست كلبى الأمين ؟

منذر : ربما كان من حقك أن تجعلى منى كلبا .. ولكن .. كيف علمت أنى أمين ؟

بلقيس : لست أجد سبباً يدعوك إلى خيانتى .

منذر : ليست الأسباب هى التى تنقصنى ...

بلقيس : (**ترفع رأسها عن المرآة وتنظر إليه**) عجباً ... عجباً ... إنك لا تكلف نفسك حتى مؤونة إخفاء كرهك لى ...

منذر : إظهار ما فى نفسى هى الحرية الوحيدة التى بقيت لى . أتستكثرينها علىّ ؟..

بلقيس : حريتك ؟! حريتكْ ! ألن تكف يا منذر عن اعتبار

نفسك أسيراً ؟ هل أنت ملقى فى جب ؟ هل أنت سجين فى قلعة ؟ إنك معى دائما ... تعيش فى قصرى وتأكل على مائدتى وتتنزه فى حديقتى وتشاهدنى فى عملى وراحتى وتقضى أكثر وقتك فى حضرتى .. إنك لست رجلاً لطيفاً ولا ظريفا إذ تسمى سجناً وجودك إلى جانب امرأة جميلة ؟!

منذر : ليس جمالك هو الذى أسرنى ... ولكنه جيشك .

بلقيس : ما أتعس المرأة التى تسمع هذا الكلام من رجل .. ولكنى ملكة عظيمة وأنت رجلٌ قليل الخطر .. فقل ما شئت ... كلامك لا يدمى شعورى ولا يؤلمنى !..

منذر : أتساءل لماذا تبقيننى دائماً إلى جوارك تسمعين منى هذا الكلام ..

بلقيس : أوَ كنت تريد أن أقصيك عنى وأسلم أمرك إلى الحراس والسجانين ، وأنت أمير من أبناء الملوك .. كلا يا منذر ... لقد فتك جيشى حقاً بأهلك وبلادك ...

ذلك قانون الحرب ... ولكن لك قدراً يجب أن يحفظ ومنزلة يجب أن تصان ... وإنى أبقيك تحت ناظرى لأطمئن على راحتك وأوقن بأنك تحيا كما أحب لك أن تحيا ...

منذر : أشكر لك هذا الكرم وهذه العناية .
وإن كنت أرى أنك تفعلين ذلك لأنك تسرين بصحبتى وتسعدين بقربى .

بلقيس : من الذوق وحسن اللياقة أن أوافقك . فأنا لا أسمح لنفسى أن أقذف فى وجهك بقولى إن صحبتك غلّ وقربك سجن ...

منذر : إنى آسف إذا كنت قد آذيت شعورك بكلمات جافية .. أطلب عفوك أيتها الملكة !. والآن أرانى فى حاجة إلى الهواء الطلق النقى إذا أذنت لى فى الخروج إلى الحديقة لحظة ...

(يخرج قبل أن ينتظر إذنها له)

بلقيس : **(تتنهد وتنظر إلى وصيفتها)** أرأيت يا شهباء ؟..

شهباء : هذا ليس بآدمى حى ! إنه مصنوع من حجر !..

بلقيس : كيف علم أنى أسر بصحبته وأسعد بقربه ؟ إنى ما ضعفت قط أمامه .

شهباء : حبذا لو ضعفت أكثر من ذلك قليلا يا مولاتى .

بلقيس : لا .. لا ينبغى لى ..

شهباء : حقاً .. يا مولاتى لا ينبغى ذلك للملكة المنتصرة ... لكن ...

بلقيس : لكن .. ينبغى ذلك للمرأة المنهزمة ...

شهباء : لم أقل هذا ...

بلقيس : بل قولى ذلك يا شهباء ... أنت تعلمين أنها الحقيقة ... آه ... لم يحدث لى ذلك قط قبل الآن ...

شهباء : أعلم ...

بلقيس : لو درى ذلك الأسير ماذا يملك فى قبضته ... لأدرك من فوره من المنتصر !..

شهباء : ربما لو درى لان فؤاده قليلا ...

بلقيس : أجننت يا شهباء ..

شهباء : لا تخافى يا مولاتى . لن يعلم منى شيئاً .

بلقيس : كيف أخر وأنا حية ، على أقدام رجل موصد الأذن عن سماع خفقات قلبى ..

شهباء : ولكنك تتألمين ...

بلقيس : أجل يا شهباء ... كثيراً ...

شهباء : ينبغى أن نجد علاجاً ..

بلقيس : لا أظن هنالك دواء لما أنا فيه ..

شهباء : يجب أن نرجو ...

بلقيس : لست أرجو شيئاً .. إلا الاحتفاظ بهذه اللحظات التى أقضيها إلى جواره .. إنه يسمعنى ما لا أحب من الكلام .. ولكن ذلك خير عندى من فراقه ...

شهباء : وماذا أنت صانعة وقد أزمعت السفر إلى سليمان ؟

بلقيس : آه حقاً ... لقد كنت أفكر الساعة فى هذا ..

شهباء : أتصطحبين أسيرك معك ؟

بلقيس : لا أتصور الرحيل بدونه .

شهباء : وماذا أنت قائلة لسليمان عنه ؟

بلقيس : لست أدرى بعد ... ربما قلت إنه تابعى ...

شهباء : ليس من السهل خداع سليمان وهو كما قيل يحكم الإنس والجن ..

بلقيس : وما الضرر فى أن يعلم حقيقة الأمر ..

شهباء : ألا تخشين أن يتآمر أسيرك عليك مع ذلك الملك الهائل !..

بلقيس : لست أخشى إلا أن يغيب أسيرى عن عينى لحظة من اللحظات .. أين هو الآن ؟..

شهباء : ألم يقل الساعة أنه ذاهب إلى الحديقة يستنشق الهواء ...

بلقيس : نعم ... الهواء الطلق النقى ...
لأنه يختنق هنا بشذاى ...

شهباء : إنى أتألم لك يا مولاتى ولا أستطيع لك شيئاً ...

بلقيس : أشرفى عليه من هذه النافذة واسأليه أن يأتى لأخبره بأمر السفر ..

(شهباء تدنو من النافذة المطلة على الحديقة وتشير إليه بالحضور)

شهباء : إنه آت ...

بلقيس : لقد ضجر وتبرم ... أليس كذلك ؟

شهباء : لا أستطيع بالطبع أن أرى ذلك من مكانى هذا ...

بلقيس : إنى أعرف كل ما يدور فى خلده وما يجرى فى رأسه دون أن أراه ...

شهباء : ها هو ذا ...

(منذر يدخل)

منذر : نعم ... ها أنذا ...

بلقيس : (**لشهباء**) لا تنسى يا شهباء أن تتجهزى أنت أيضاً للسفر ...

شهباء : إنى يا مولاتى أتبع لك من ظلك ..

(تخرج شهباء)

منذر : ما هو الحدث الجلل والأمر الخطير الذى ناديتنى من أجله ؟

بلقيس : اجلس أولا .

منذر : لقد تعبت من الجلوس .

بلقيس : هنا ... هنا ... كلبى الأمين يجب أن يخر دائماً عند اقدامى ...

منذر : (**وهو يجلس عند قدميها**) ماذا تريدين الآن ؟

بلقيس : أن تتبعنى فى كل مكان ...

منذر : وهل أستطيع غير ذلك ؟

بلقيس : ستذهب معى إلى الملك سليمان ...

منذر : سلاسلى فى يدك تستطيع أن تشدنى أينما تذهبين ...

بلقيس : ليس يرضينى أن أقول هناك عنك أنك أسيرى ...

منذر : وماذا يرضيك أن تقولى عنى ؟

بلقيس : أريد لك لقباً رفيعاً ...

منذر : أرفع من لقب « كلبك » ؟

بلقيس : لا تمزح يا منذر ... لماذا لا أقول عنك إنك مستشارى الأمين ؟

منذر : كلا ... إنى أفضل أن أكون لك كلباً أميناً ولا أكون

لك مستشاراً أميناً ؟

بلقيس : كن مستشاراً خائناً إذا شئت ..

منذر : لا أستطيع أن أخون من يجعلنى موضع ثقته ومشورته .

بلقيس : ماذا تريد إذن أن يكون موقفك منى ؟

منذر : لا شىء ... موقف المشاهد الصامت والأسير المنتظر ...

بلقيس : تنتظر ماذا ؟ يوم الفكاك والهرب ؟ لتعود إلى أهلك وبلادك فتثيرها لحربى وتجمعها جيوشاً تأخذ الثأر لك منى ؟.. أهذا كل حلمك وأملك فى هذه الدنيا ؟

منذر : أمل جدير بالحياة من أجله .

بلقيس : كلا يا منذر ... هنالك آمال وأحلام أجمل من ذلك وأنبل . جدير أن نعيش من أجلها ؟

منذر : ليس يدهشنى أن يختلف نظرنا إلى الأشياء .

بلقيس : أسائل نفسى أحيانا أهو مستحيل أن نتفق يوماً ؟!

منذر : أما أنا فلم ألق قط على نفسى هذا السؤال .

بلقيس : أعرف ذلك ... وا أسفاه !..

منذر : السؤال الذى يخامرنى الآن هو :
لماذا تأخذين أسيرك فى رحلتك إلى سليمان ؟

بلقيس : لأنى ...

منذر : لأنك لا تطمئنين على راحته وهو بعيد عن بصرك ...

بلقيس : هو ذاك يا منذر .

منذر : وإذا قلت لك أن راحتى هى فى وضعى داخل قلعة مغلقة مع غيرى من الأسرى ... هل تلبين هذا الطلب ؟

بلقيس : (**فى اضطراب تحاول إخفاءه**) لماذا تطلب هذا يا منذر ؟..

منذر : إذا كان لى أن أسألك شيئاً فهذا هو طلبى .

بلقيس : أضعك فى سجن مغلق ...

منذر : وفى وحدة مطلقة ...

بلقيس : (**تطرق وتخفى عينيها بيدها حتى لا يرى عبرة تكاد**

تسقط) ؟...

منذر : أهو طلب عسير يحتاج منك إلى كل هذا التفكير ؟

بلقيس : (**ترفع رأسها**) لقد ظننت أنى بوضعك فى قصرى بدل السجن أيسر لك بعض وسائل الهرب ...

منذر : أفكرت فى ذلك حقاً ؟

بلقيس : نعم ... لقد احتلت بهذه الحيلة من أجل ذلك ... وتذرعت بالحجج التى تعلمها لإقناع وزرائى ورجال جيشى بتركك ها هنا ... وربما كنت أريد أن أصطحبك فى السفر حتى أتيح لك تحين الفرص ...

منذر : يالى من أحمق ... كان يجب أن أفهم الأمر على هذا الوجه ...

بلقيس : اكتم عنى ما قلت الآن ... اجعلنى شريكتك فى السر ولا تعرضنى لغضب شعبى ...

منذر : أنت تساعديننى على الهرب لأجمع جيشا وأقاتلك ؟

بلقيس : ما دمت تريد ذلك ...

منذر : بلقيس !..

بلقيس : (**مشدوهة فى غير وعى وفى رقة**) نعم يا منذر ...

منذر : لماذا تنظرين إلىّ هكذا ؟

بلقيس : (**كالمخاطبة لنفسها**) إنها أول مرة تنادينى فيها ... هكذا!..

منذر : سأرحل معك إذن ...

بلقيس : نعم ...

منذر : إنى ذاهب أتجهز للسفر ... إذا أذنت !...

(**يخرج فرحا**)

بلقيس : نعم ...

(**تضع رأسها فى كفيها وتجهش بالبكاء**)

المنظر الثالث

(فى أورشليم . قصر سليمان ... بهو عظيم)

* * *

صادوق : مالك أيها النبى ؟ فيم تفكر ؟

سليمان : دعنى ...

صادوق : لا أحسب قدوم هذه الملكة هو الذى يشغل بال سليمان العظيم !...

سليمان : (**يرفع رأسه**) ماذا تقول يا صادوق ؟

صادوق : أينبغى لى أن أبقى فى استقبالها ؟

سليمان : نعم .

الصياد : وأنا أيضاً أبقى يا مولاى ؟

سليمان : نعم ...

صادوق : لست أرى الوزير آصف بن برخيا ؟

الصياد : لقد ذهب إليها بفرسانه عند باب أورشليم ...

سليمان : (**كالمخاطب لنفسه**) لماذا أبطأوا ؟ فيم كل هذا الإبطاء ؟

صادوق : ليس هناك إبطاء ... إنهم ولا شك الآن فى الطريق إلى القصر ..

سليمان : لست أسمع بعد صوت العجلات ولا صهيل الخيول ..

صادوق : (**كالمخاطب لنفسه**) لست أدرى فيم كل هذا الاهتمام ؟

سليمان : (**يلتفت إليه**) ماذا تقول يا صادوق ؟

صادوق : (**فى خبث وهو يسدل الستر على نافذة**)لا أقول شيئاً . إنما أسدل الأستار على هذه النافذة المشرفة على جناتك تلك التى تسرح فيها طيورك الغريبة الكثيرة .

سليمان : نسائى ؟!

صادوق : البالغات الألف عدداً ... من موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ... نماذج من

الجمال وأنماط من الحسن يتسع لها كلها قلـبك الكبير ... إنه قلب نبى !..

سليمان : طيور غريبة كثيرة ؟!.

صادوق : و لم لا ؟

سليمان : ومع ذلك ...

صادوق : لا اعتراض على فعالك ..

سليمان : قلبى يحدثنى ...

صادوق : قلبك صادق .

سليمان : (**كالمخاطب نفسه**) فى هذه المرة ... نعم ...

صادوق : فى كل مرة ... وفى كل أوان ...

سليمان : صه ! كأنى أسمع دق الطبول ؟..

صادوق : لست أسمع شيئاً ...

سليمان : إنى أراها آتية من بعيد ...

صادوق : فلنستعد إذن ... ليحضر رؤساء أعوانك من الإنس والجن ليحفوا بعرشك ...

(يشير بيده فيمتلىء المكان بالأتباع قادمين على

أنغام موسيقى)

سليمان : وهى ؟ أين يكون مجلسها ؟...

صادوق : ذلك موكولٌ إلى رغبتك ...

سليمان : تجول برأسى فكرة لو حققها أحدكم أعطيته كل ما يتمنى ...

الجميع : مرنا نطع أيها الملك .

سليمان : أريد أن تجلس على عرشها .

الجميع : عرشها ؟

سليمان : نعم ... أيكم يأتينى الآن بعرشها قبل أن تأتى ؟

الجميع : عرشها ؟!.

سليمان : نعم ... أيها الجن ؟ أيكم يستطيع ذلك ؟..

(يتقدم العفريت « صخر » من بين صفوف الجن)

صخر : أنا أستطيع ...

سليمان : أنت يا صخر ؟

صخر : أنا آتيك به أيها الملك .

سليمان : متى ؟ متى ؟...

صخر : قبل أن ينقضى النهار .

سليمان : ولكنها آتية بعد قليل .

صخر : إن المكان بعيد يا مولاى ... إنى سأحمله إليك من مملكة سبأ ...

سليمان : وددت لو أنها جلست على عرشها الآن عند قدومها ...

(داهش الجنى يشق الطريق مسرعاً إلى الصياد هامساً)

الجنى : (**هامساً**) أنا آتيه به قبل أن يرتد إليه طرفه ...

الصياد : (**هامساً**) اسكت ...

سليمان : ماذا يقول عفريتك أيها الصياد ؟

الصياد : لا شيء يا مولاى ...

سليمان : كأنى به يتحدث عن عرش بلقيس ...

الصياد : إنه يمزح يا مولاى ...

الجنى : أهذا وقت مزاح أيها النبى ...

سليمان : حقاً هذا ليس وقته ... فيم كان حديثك إذن ؟

الجنى : عرشها ... أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك .

سليمان : أأنت واثق من إمكان ذلك ؟

الجنى : ضعنى موضع الامتحان .

سليمان : وإذا أخفقت ... أتعلم ما الجزاء ؟

الجنى : حبسى فى القمقم ، وإعدام الصياد .

الصياد : (**كالمخاطب لنفسه**) لا حول ولا قوة إلا بالله !..

سليمان : أسمعت أيها الصياد ؟

الصياد : سمعت .

سليمان : أنت كما تذكر مسئول عن تبعات فعاله .

الصياد : إذن فلا يذهب أبداً .

الجنى : بل دعنى أيها الصياد أذهب ...

الصياد : أيها الملك ... لا تدعه بربك يضيعنى ... هذا الفاجر المغرور !

الجنى : لا ترتعد خوفاً أيها الأحمق . إنها فرصة ... فرصة طالما انتظرتها لإظهار عبقريتى .

الصياد : بل هى فرصة لإظهار مصائبك التى ستحل على رأسى !..

الجنى : (**يلكم الصياد**) تفاءل ... تفاءل ...

الصياد : آه ... ليتنى لم أجد فى شبكتى قمقمك النحس ، وقنعت بالحمار النافق والزير المكسور !

الجنى : أيها الصياد الأحمق ... لا تقف عثرة فى سبيل طموحى .

الصياد : صه أيها الملعون ! من يوم عرفتك لم أعرف الراحة .

الجنى : إذا نجحت أنا فإنك ستعرف المجد .

الصياد : أيها الملك . أحقاً سأوخذ بفشله ؟

سليمان : وتثاب عن فوزه . أليس هكذا العهد والميثاق ؟

الجنى : (**يلكم الصياد**) غامر ... غامر ...

الصياد : آه ... إنها المقامرة بعينها .

الجنى : (**يلكم الصياد**) خاطر !.. خاطر ...

الصياد : دعنى يها اللعين ... لقد أشبعت كتفى لكما !.. اذهب عنى وافعل ما بدالك !..

الجنى : (**صائحاً**) ها ... مرحى ... مرحى ...

الصياد : لقد وعدت أيها الملك أن أجعل هذا الجنى فى خدمتك . فلتذهب إذن . فقد يوفق إلى الظفر ببغيتك . اذهب أيها الجنى وأمرى إلى الله !.

الجنى : (**صائحاً**) أغمض عينيك أيها النبى !. أغمضوا عيونكم أيها الملأ !..

(الجميع يغمضون)

الصياد : (**يغمض عيناً واحدة**) أغمضنا عيوننا ... اذهب أنت وأسرع ...

الجنى : عينيك الاثنتين لا عيناً واحدة ... أيها الرعديد !..

الصياد : (**وهو يغمض**) لعنة الله عليك !.. قد لا أفتحهما بعد الآن !..

(تنطفىء الأنوار فجأة ويحل الظلام فى المكان لحظة ثم يعود النور فإذا عرش بلقيس فى صدر البهو)

الجنى : أيها الملك العظيم !..

الصياد : (**مغمض العينين**) ألم تذهب بعد أيها العفريت اللَّكِع !.. آه قد عوقبت وأعدمت وانتهى الأمر ...

سليمان : (**ينظر إلى العرش**) أيها الصياد ...

الصياد : (**مغمض العينين يتقدم إلى الملك**) ها هو ذا رأسى أيها الملك !..

سليمان : رأس جدير أن يتوّج بإكليل المجد !..

الصياد : (**يفتح عينه دهشة**) ؟.

سليمان : (**يشير إلى العرش**)انظر !..

الصياد : إلهى ... إلهى ...

الجنى : أرأيت ؟

الصياد : (**فى عجب**) متى جاء بهذا !

سليمان : صدق صاحبك الجنى . إنها العبقرية .

الصياد : حمداً لك يارب السموات !..

سليمان : إنه حقاً لعمل عجيب !..

(**الصياد يفيق من ذهوله ويحس بالفخر**)

الصياد : (**مباهياً**) هذا شىء بسيط يا مولاى ... فى مقدورنا

أن نصنع أعجب من ذلك ؟..

سليمان : ماذا تطلب الآن ؟ كل ما تتمنى فهو لك ...

الصياد : أحقاً أستطيع أن أنال ما أشاء ؟

سليمان : نعم ... اطلب ما تشاء .

الجنى : (**همساً للصياد**) ذقت الآن لذة الظفر ؟

الصياد : المال والجاه والسلطان ...

الجنى : اطلب ... اطلب ...

الصياد : نعم ... نعم ... إنى أطلب أن يكون لى ... وفى خدمتى ... وفى حوزتى ... وتحت إمرتى ...

سليمان : تكلم ...

الصياد : أطلب أن يكون لى ...

سليمان : ماذا ؟

الصياد : أن تعطينى أيها الملك ...

سليمان : اطلب ما شئت ولا تخف ...

الصياد : الحق يا مولاى إنى ...

سليمان : تكلم ؟ تكلم ...

الصياد : لست أجد شيئاً أطلبه ...

الجنى : أف !.. لا دواء لحمق هذا الرجل !

الصياد : إذا نلت كل هذه الأشياء التى يطلبها الناس فما أصنع بها هاهنا ؟ إنك أعطيتنى كل شىء يا مولاى.، يوم أذنت لى أن أعيش إلى جوارك . ما دمت موضع ثقتك ... ما حاجتى إلى كنوز الأرض ؟!..

سليمان : (**ملتفتاً إلى الكاهن**) أسمعت يا صادوق ! هذا كلام يذكرنى بكلامى الذى خاطبت به ربى يوم ترا آى لى فى الحلم ليلاً .. وقال اسأل ماذا أعطيك !..

صادوق : لقد أجبت ربك يومئذ قائلا :

أعط عبدك قلباً فهيما ليحكم شعبك ويميز بين الخير والشر ...

سليمان : نعم .. نعم .. قلت ذلك وحسن كلامى فى عينى ربى ... فقال لى : من أجل أنك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة ولا سألت لنفسك غنى ولا سألت أنفس أعدائك بل سألت تمييزاً وحكمة ..

هو ذا أعطيتك قلباً حكيما ..

صادوق : وقد أعطاك أيضاً ما لم تسأل : غنى وسلطاناً لا يدانيك فيهما ملكٌ من الملوك ...

سليمان : (**كالمخاطب لنفسه**) لقد أعطاني ذلك ... لسر لست بعد أدركه ..

صادوق : ولقد أوصاك أن تسلك طريقه وتحفظ فرائضه كما سلك داوود أبوك ...

سليمان : أرجو أن أكون حافظاً للعهد ..

صادوق : إنك لمنزه معصوم أيها النبى ..

سليمان : أيها الصياد ... أنت أيضاً ما دمت قد سألتنى ثقتى وقربى وجعلتهما كل كنزك ... فإنى أعطيك ما سألت ... فهما لك . وإنى أوصيك أن تحتفظ بهما ...

الصياد : إلى آخر أيامى يا نبى الله !..

سليمان : أما داهش بن الدمرياط الجنى فإنه قد نال إعجابى ورضاى !

الجنى : تستطيع أن تعتمد على أيها النبى ... فإنى خلقت لجسام الأمور وعظام الفعال ...

الصياد : تواضع ... تواضع ...

سليمان : (**باسما**) دعه !.. من حقه أن يتيه الآن قليلا .

(**يسمع دق الطبول وصهيل الخيول**)

صادوق : (**قرب الشرفة**) إن الموكب قد أقبل .

سليمان : (**همساً كالمخاطب نفسه**) نعم ... قد أقبلت ...

صادوق : (**وهو يشاهد**) تعال وانظر أيها النبى !...

سليمان : (**دون حراك**) لا حاجة بى إلى النظر ...

صادوق : عجباً !.. يا لهذا الجمال ! لكأنها الشمس قد أشرقت وأضاءت الطريق ...

سليمان : أرى ذلك ...

صادوق : (**يلتفت إليه**) كيف ترى ذلك من مكانك هذا ؟

سليمان : لست أبصر بعينىَّ وحدهما كما تبصر أنت ...

صادوق : (**ينظر من الشرفة**) وهذا الوزير آصف بين يديها قد أطرق ... لكأنه لا يجرؤ على النظر إلى وجهها !..

سليمان : من التابع الذى معها ؟..

صادوق : هذه جارية حسناء خلفها لكأنها وصيفتها فيما أرى ...

سليمان : مَن غيرها ؟..

صادوق : لست أرى غيرها .

سليمان : أنعم النظر يا صادوق ... فأنت أحياناً كليل البصر ...

صادوق : حقاً ... حقاً ... هذا فتى عن يسارها ... لكأنها وزير من وزرائها ...

سليمان : (**مطبق العينين كأنه يرى بخياله**) فتى جميل ... أستطيع أنا أن أصفه لك إذا شئت ...

صادوق : إنهم الآن بباب القصر ... إنهم يدخلون ...

سليمان : (**يفتح عينيه ويتهيأ للاستقبال**) إنها ستُدهش إذ تبصر عرشها ... ولكنها ستكتم أمرها ... يا لها من امرأة !..

(ينفخ فى الأبواق وتفتح الأبواب .. وتظهر

بلقيس بردائها الطويل وخلفها وصيفتها شهباء والأسير منذر والوزير آصف بن برخيا ... وأتباع لها وتابعات ...)

بلقيس : ها أنذا أيها الملك العظيم ...

سليمان : إنه لفضل منك أن تلبى دعوتى أيتها الملكة الجميلة !

بلقيس : لطالما وددت أن أزور مملكتك وأشاهد بلادك ...

سليمان : أرجو أن يطيب لك المقام بيننا ...

(يقودها نحو عرشها)

بلقيس : (**تقف قليلا مأخوذة أمام عرشها**) إنك تبالغ فى الترحاب بى !

سليمان : وددت أن تحسى هنا أنك فى قصرك ...

بلقيس : حقاً ... حقاً ...

سليمان : أليس هذا هو عرشك ؟

بلقيس : (**فى تؤدة وضبط نفس**) لكأنى به ...

سليمان : أرجو أن يكون هو .

بلقيس : إنه هو ... شكراً لك أيها الملك الكريم !

(تجلس على عرشها . ويجلس سليمان على عرشه)

(موسيقى رائعة ... وأكواب وشراب ... وجوفة من الراقصات الجميلات يرقصن رقصات غريبة ...)

سليمان : (**بعد انتهاء الرقص**) يا آصف ... احتفل بضيوفك ... هيئ لأتباع الملكة المجيدة كل راحة وعناية ...

(يشير الملك بيده فينصرف الجميع ولا يبقى غيره مع بلقيس وحدهما ...)

بلقيس : أرى أنك تسرع فى الانفراد بى !.

سليمان : (**يرمقها طويلاً**) لطالما انتظرتك .

بلقيس : إنى مع ذلك لم أبطئ فى المجيء .

سليمان : ليس أشق على الإنسان من أن ينتظر قدره الذى كتب عليه !..

بلقيس : إنك لتنظر إلىّ كأنك تطالع كتاباً .

سليمان : (**وهو يتأملها**) وأى كتاب !

بلقيس : (**باسمة**) أتراني حقاً أستحق منك كل هذا الالتفات ؟!

سليمان : دعيني أطالع صفحة وجهك ملياً ... أنت يا من شممت عطرك وبيننا بحار من رمال ... ودعوتك وبيننا آماد طوال !..

بلقيس : هاأنذى بين يديك ...

سليمان : آه ... لو استطعت ...

بلقيس : ماذا ؟

سليمان : أن أستل بيدى قلبك من بين جنبيك وألقى به طعاما إلى الهدهد ...

بلقيس : وما جريرة قلبى ؟

سليمان : وما حرصك على قلب ليس لك !

بلقيس : ليس لى ؟!..

سليمان : أفى إمكانك أن تزعمى أنه فى يدك ؟

بلقيس : كيف عرفت هذا ؟..

سليمان : لا تراعى ولا تضطربى ... إنى أعرف عنك أشياء ...

بلقيس : حقاً ... لكأنك تعرفنى ...

سليمان : لقد حدثنى قلبى عنك كثيراً .

بلقيس : أرى من العبث أن يخفى عنك أمر ... أيها الملك سليمان .

سليمان : أتحبينه بهذا المقدار ؟

بلقيس : أخبرنى قبل كل شيء ، ما مكانك منى ؟ أأنت صديق أم عدو ؟ أأنت ملك يكرم ملكة . أم فاتح قاهر يبيت الشر لبلد وأمة ؟ لست أرى بعد أمِن حقى أن أتخذ منك خديناً ناصحا حتى أجيبك عن سؤالك هذا ؟!...

سليمان : ثقى يا بلقيس إنى لا أريد أن أظفر بغير مودتك . هذا كلَ مطمعى .

بلقيس : هذا كل مطمعك ؟!

سليمان : إنه عندى ليس بالمطمع القليل !..

بلقيس : (**تطيل إليه النظر**) أترانى ...

سليمان : لا ترتابى !..

بلقيس : دعنى أنا الأخرى أطالع صفحة نفسك ملياً ...

سليمان : من حقى أن تتخذى منى ذلك الخدين الناصح على الأقل !..

بلقيس : شكراً لك يا سليمان .

سليمان : ما أسعدنى الآن بذكرك اسمى هكذا !.. اكشفى لى عن قلبك يا بلقيس وعن مشاعرك ...

بلقيس : آه ... نعم أحبه ... حباً يشقينى فى اليوم مرات ...

سليمان : هو من أبناء الملوك ؟

بلقيس : لقد كان كذلك ... وهو اليوم أسيرى ...

سليمان : أسيرك ...

بلقيس : أليس هذا عجيباً ؟!

سليمان : أفهم ما تعانين .

بلقيس : لست فى حاجة أن أسهب لك أنت يا سليمان فى القول . فأنت بدقة حسك تدرك ما يقال وما لم يقل ...

سليمان : ما أحسبك تحتملين فراقه يوما .

بلقيس : من أجل ذلك خاطرت وجئت به معى إلى هنا ...

سليمان : إنه هنا فى أمان ...

بلقيس : أرجو ذلك ...

سليمان : بل ثقى يا بلقيس ...

بلقيس : ما كنت أحسب هذه الصداقة تنشأ بيننا بمثل هذه السرعة يا سليمان !..

سليمان : (**ينهض**) لا ينبغى أن أغالى فى الأثرة والطمع .. فأستبقيك طويلا وأنت متعبة من مشقة السفر ...

بلقيس : (**تنهض**) شكراً أيها الصديق !.

سليمان : (**يصفق للجوارى فيحضرن**) نوما هنيئاً أيتها الصديقة !

(تخرج بلقيس بين الجوارى ... ويبقى سليمان وقد أطرق ... وجعل ينكث بعصاه الأرض .. يدخل الجنى يقود الصياد)

الصياد : (**همساً للجنى**) دعنى ... ارجع بنا !.. لا يجوز لنا

الدخول عليه بغير استئذان ؟..

الجنى : (**همساً**) ألست موضع ثقته أيها الأحمق ...

الصياد : لقد أسلمتك قيادى وأنا مغمض العينين فافعل ما شئت ؟

الجنى : انظر !.. إن الملك مطرق مفكر ... مهموم ... إننا لم نره على هذه الحال قط ... إنه فى حاجة إلينا ...

الصياد : صه !.. لا تدخلنا فيما لا يعنينا ... ألسنا الآن بخير هادئين ناعمين فى أمن وسلامة !..

الجنى : آه ... الأمن والسلامة ... هما نذير الركود والخمول والموت ... كـــــلا لست أرضى ذلك ... إلى العمل ... إلى العمل ... إلى الحياة ...

سليمان : (**يلتفت إليهما**) ماذا تصنعان هنا ؟

الصياد : (**فى خوف**) لست أدرى يا مولاى ... ولكنه هذا المفتون هو الذى ...

سليمان : أيها الصياد ...

الصياد : لبيك أيها الملك .

سليمان : إنى فى حاجة إليك ... أريد أن ألقى سؤالا عليك ...

الصياد : روحى فداك يا مولاى ! إنى خادمك ...

سليمان : هل أحببت يوماً ؟

الصياد : أنا ؟

سليمان : هل عرفت الحب ؟

الصياد : الحب ؟!..

الجنى : (**همساً**) ما الذى ألجم لسانك ... أهناك أبسط من هذه المسألة ... قل ...

سليمان : دعه أيها الجنى الآن ... لا تلقنه شيئاً ... اذهب حتى ندعوك ...

الجنى : **(يختفى وهو ينظر إلى الصياد فى رثاء)** ؟

سليمان : (**للصياد**) أنا أريد الجواب من أعماق قلبك الساذج وضميرك البرىء ...

الصياد : الحب يا مولاى ... لم أعرفه إلا مرة ...

سليمان : كيف ؟

الصياد : تلك قصة لو كتبت بالإبر على مآق البصر لكانت

عبرة لمن اعتبر ...

سليمان : حدثني ... حدثني ... إني مصغ إليك .

الصياد : وقع لى ذلك منذ أعوام ثلاثة .

كنت أصطاد ذات يوم . وقد ألقيت شبكتى طول النهار فما كنت أجد فى الشبكة غير إناء مكسور وطين وأحجار وفتات قوارير ... حتى أقبل المساء ويئست من أمرى فألقيت بشبكتى للمرة الأخيرة وجذبتها . فإذا بها سمكة عجيبة لم أرلها نظيراً قط ، فقد كان نصفها أشقر ونصفها أزرق ... فقلت فى نفسى : تلك سمكة لم تجعل لمثلى ، إنما جعلت لتهدى إلى الملك .. ولكن الجوع عضنى بنابه ... فقلت : لماذا أستكثرها على نفسى ... فلتكن لى عشاء . وذهبت بها إلى دارى وشققت صدرها فإذا بى أجد فيه جوهرة ... فكدت أجن من الفرح ... وذهبت بالجوهرة إلى السوق فبعتها بخمسمائة دينار ذهباً ... ولم أكد أضع المال فى جيبى حتى رأيت نخاساً يبيع

جارية شقراء الشعر زرقاء العينين لم تقع عينى على أجمل منها ... وقع حبها فى قلبى كأنه حكم من القدر فأخرجت الدنانير ووضعتها فى يد النخاس وأخذت الجارية ... وما كدت أسير بها قليلا حتى قالت لى : « إنى لم أجعل لك ... فإذا كنت رجلا شريفًا ذا ضمير فأعتقنى .. أما مالك فإنى قد أرده إليك يوما .. فإن لم أستطع فإن فى السماء ربًا يتولى ذلك عنى ... » فقلت لها : « يا سيدتى أنت حرة لساعتك فاذهبى حيث شئت ... ولا تظنى أنك ذاهبة بمالى ... فذلك عرض جاء وزال ولما تمض ساعة ... إنما أنت ذاهبة بقلبى ... فوداعًا إلى الأبد أيتها الجميلة ... ووداعًا إلى الأبد أيها الحب ! »

سليمان : وما الذى جرى لها بعد ذلك ...

الصياد : لست أدرى ... لقد تركتها فى الطريق بعد تلك الكلمات وسرت فى سبيلى ... و لم أرها بعد ذلك ولا أعرف ما جرى لها ... ولا فى أى بلد من بلاد الله هى

الآن ..

سليمان : أو ما زلت تذكرها ؟

الصياد : وهل فى مقدورى أن أنساها ؟

سليمان : تحبها دائما ؟..

الصياد : (**يطرق ولا يجيب**) ؟

سليمان : أجل أيها الصديق ... أفهم ما تعانى ..

الجنى : (**يظهر فجاة**) أستطيع أنا أن أعرف مقرها وأعثر عليها ...

سليمان : من أذن لك فى المجىء ؟..

الجنى : دعنى أيها الملك ... أصنع شيئاً لهذا الأحمق ...

سليمان : أفى إمكانك أن تأتى إليه بالحب ؟

الجنى : إنى مهيأ لأن أصنع العجب العجاب !..

الصياد : أيها المفتون ... مكانك ... ليس من حقى أن أبحث عنها أو أفسد عليها حياتها ... إنها لم تجعل لى وإن قلبها لم يكن لى ... فماذا أريد أو تريد أمام هذا !..

سليمان : (**كالمخاطب نفسه**) آه ... هذا هو الأمر الذى لا

دواء له !..

الجنى : لكل شيء دواء أيها الملك ... أصغوا إلىّ ... أصغوا إلىّ ... لكل شيء دواء إلا اليأس ... اليأس وحده هو البلاء الذى لا يوجد له دواء ...

الصياد : أهكذا خلقك ربك لتخلق التعب وتقلق الراحة !

الجنى : العمل ، العمل ... النضال . النضال

سليمان : (**يرفع رأسه**) أيها الجنى ...

الجنى : لبيك مولاى !.

سليمان : أخبرنى بالصدق ... وحذار أن تخدعنى أو تغرر بى ...

الجنى : حاشا يا مولاى . أوَ بلغ بى الجنون أن أقدم على التغرير بك ؟!

سليمان : أوَ يستطيع العمل والنضال حقا أن يظفرا بمفتاح القلب المغلق ؟!

الجنى : ولِمَ لا ؟

سليمان : أخشى أن يكون اعتدادك بقدرتك قد جاوز الحد ...

الجنى : كلا يا مولاى . إن فتح المغلق لمن أيسر الأمور .

سليمان : قد يسهل عليك فتح كنز من الكنوز ، أو حصن من الحصون ، أو طلسم من الطلاسم ... لكن القلب ... القلب ...

الجنى : ليس أعسر منالا من غيره يا مولاى !.

سليمان : ما سبيلك إلى ذلك ؟

الجنى : العمل والنضال ... لانتزاع مفتاحه ممن استحوذ عليه !..

الصياد : أهذا جائز فى شريعة القلب والحب ؟!

الجنى : اسكت أنت أيها الأحمق ؟.

الصياد : قل لى ... إلى متى أتحمل منك هذه القحة ؟!

الجنى : إلى أن تخلع عنك رداء الخمول وتنشط معى إلى الجهاد والجلاد ...

الصياد : وما شأنك أيضا بقلبى وحبى ؟

الجنى : ومَن غيرى صاحب الشأن فى ذلك ؟.

الصياد : يا لها من صفاقة وجه !.

الجنى : اسمع أيها الصياد : القلب والحب ميدان ككل ميدان ، لا فوز فيهما ليائس جالس ... انهض أيها البليد وكافح واكتسب من غريمك المعركة ..

الصياد : غريمى ؟ ومن غريمى ؟!

سليمان : (**يرفع رأسه**) أيها الجنى ؟!.

الجنى : لبيك أيها الملك !..

سليمان : من يدرى ... قد يكون فى كلامك شىء من الصواب ...

الجنى : اعتمد علىَّ !..

سليمان : أخبرنى ماذا ينبغى أن يتبع فى هذا النضال الذى تقول عنه ؟!

الجنى : قبل كل شىء : ابهر عين من تحب !.

سليمان : ثم ماذا ؟..

الجنى : ثم أظهر ضعف غريمك لمن تحب ...

سليمان : ما أراك جئت بطريف ولا بجديد ؟!

الجنى : وهل الحب نفسه شىء جديد أو طريف ؟!

الصياد : إنك أيها الجنى لست بإنسى حتى تعرف حقيقة القلب الإنسانى ؟!

الجنى : قلت لك اسكت أنت بجهلك وغبائك ... القلب الإنسانى .. حقيقته أبسط من أى حقيقة .. ما القلب ؟.. أهو شىء غير مكان ككل مكان ... وصندوق ككل صندوق .. وحجرة ككل حجرة ؟! إذا دخلها شخص وأغلقت عليه ، اختلط فى ظلامها كل شىء بكل شىء .. فلم يعد من المستطاع تمييز الحسن من القبح ولا النبل من الخبث ... ينبغى أن يدخل تلك الحجرة بصيص من النور حتى تتبين الصفات من العيوب ؟!

الصياد : وأين نأتى بالنور ؟..

الجنى : ننسجه من أشعة أفكارنا الباهرة ، وشموع أصابعنا البارعة ... أليست لدينا المواهب !..

سليمان : آه ... ما أبرعك حقاً فى ملء نفوسنا بالأمل !..

الجنى : الجأوا إلَىَّ دائماً ... وأنا الكفيل بانتصاركم !..

سليمان : سنرى أيها الجنى مصداق زعمك !.

الجنى : سترى عملى أيها الملك !..

سليمان : لكن ... الويل لك إذا بؤت بالخيبة !.

الصياد : الويل له وحده يا مولاى ... فها أنذا منذ الآن أسخف رأيه على رؤوس الأشهاد !..

سليمان : لن يغنيك ذلك شيئاً أيها الصياد !.. أنتما الاثنان كائن واحد ... عند منح جزاء أو توقيع عقاب !..

(**يتركهما ويتجه إلى الانصراف**)

الصياد : (**يلكم الجنى لكمة شديدة**) أسمعت أيها اللعين !.. أسمعت ؟.

الجنى : (**يفرك موضع اللكمة فى غيظ**) دعنى ... دعنى ...

الصياد : (**يركع عند قدمى الجنى**) طمئنى بربك على مستقبلى !..

الجنى : (**يدفعه عنه**) اطمئن ... اطمئن ...

المنظر الرابع

(فى الصرح العجيب ... أرض من زجاج أبيض يبدو كأنه لجة ماء ... وفى صدر المكان فرش ورياش ...)

* * *

الجنى : **(يشير إلى كل ما حوله)** ألست الآن مبتهجا فخوراً . هذا عملى !.

الصياد : نعم . نعم . هذا عملنا ..

الجنى : كل ما ترى حولك وليد تصورى .

الصياد : نعم ، تصورنا .

الجنى : لقد سلمنى سليمان قياد الأمر وجعل كما تعلم كل من عنده من جن وإنس فى عونى وخدمتى ... وها هو ذا يظفر فى زمن قليل بصرح هو أعجوبة الأعاجيب ...

الصياد : منذا يجسر بعد الآن أن يشك فى عبقريتنا ؟

الجنى : إن كان هنالك أحد يشك فهو دائما أنت .

الصياد : أنا ؟ متى كان ذلك يا صديقى العزيز ..

الجنى : صديقك العزيز ؟!. ما علينا ؟.. تعال وانظر بعينيك إلى هذه الفرش والمس بيديك هذه التحف ... وقل لى هل تستطيع بلقيس أن تكتم عجبها وإعجابها أمام كل هذا ؟.

(الصياد يخطو على الأرض البلورية رافعا أطراف ثوبه دون انتباه ...)

الصياد : إن عملنا ومجدنا خليقان أن ينطقا الجماد تسبيحاً بحمدنا !

الجنى : يا صاحب المجد والعبقرية ... فيم ترفع ثوبك وتكشف عن ساقك ...

الصياد : آه حقاً ... حقاً لقد كدت أظن أنى سأبتل بالماء ...

(يسدل ثوبه كما كان)

الجنى : إنه قوارير وزجاج ... كما تعلم ... تنسى عاجلا

صنعك وعملك !

الصياد : حقاً لقد أتقنا فننا إلى حد يوقعنا نحن أنفسنا فى شباكه ...

الجنى : تكلم عن نفسك أنت . أما أنا فلم أقع .

الصياد : لا يقع إلا « الشاطر » !..

الجنى : ليس عندى شك فى أنك صياد شاطر دائماً تقع فى شباكك ..

الصياد : تلك علامة المهارة !..

الجنى : لديكم أنتم معشر الإنسان !..

الصياد : إن أبدع خدعة تنسجها عقولنا لا يقع فيها أول الأمر غيرنا ...

الجنى : إذن فلى أن آمل فى نجاح خطتى ...

الصياد : خطتك ؟.. ما هى خطتك ...

الجنى : سوف تعرفها فى حينها ...

الصياد : يدهشنى منك أنك قليل الثقة بى ... وكأنك تخشى أن تطلعنى على نواياك . وما كان أحراك أن تفعل حتى

تتدبر كل شيء معاً !.. ألسنا شبه كائن واحد ... يتحمل أحدنا تبعات فعل الآخر ... وينتظرنا فى نهاية الأمر عين المصير ...

الجنى : كلا ... إنما نحن من عنصرين مختلفين . ولا بد لأحدنا من أن يسيء بالآخر الظن . ولقد كنت أنت البادئ .

الصياد : أيها الصديق العزيز ... ليس الوقت الآن مناسباً للخلاف والخصام !

الجنى : يالك من إنسان ؟! ساعة ظفرى وانتصارى تدعونى صديقك العزيز . أما إذا اكفهر أفق الأمل ...

الصياد : أملى فيك لم تخب لحظة ... ما الداعى الآن لأن تثير فى جو صفائنا هذا الغبار ؟!. أخبرنى الآن : أين سليمان ؟!.

الجنى : مع بلقيس ..

الصياد : أين ؟

الجنى : فى السماء .

الصياد : لقد اخبرتنى بهذا منذ قليل . ولكــن .. أى سماء تعنى ؟..

الجنى : **(يشير إلى السماء الظاهرة من الشرفة الكبرى)** أترى عيناك سماء أخرى غير هذه ؟!..

الصياد : أى الأعين تعنى ؟

الجنى : الأعين التى فوق أنفك ...

الصياد : حقا ... إنهما لا تريان غير هذه السماء الزرقاء ذات السحب البيضاء ... ولكن كيف يكون سليمـان وبلقيس فى مثل هذه السماء ؟..

الجنى : إنهما جالسان فوق بساط ...

الصياد : بساط فى هذا الفضاء ؟!

الجنى : ولم لا ؟

الصياد : عجبا !.. كيف يحدث ذلك ؟

الجنى : كما حدث للطير .. أتعجب للهدهد وهو فى السماء يطير ؟..

الصياد : كلا ...

الجنى : إذن لماذا تعجب للبساط وهو يطير ؟!

الصياد : لا لزوم الآن لهذا المزاح أيها الجنى ..

الجنى : أتعودت منى المزاح من قبل أيها الصياد ؟

الصياد : حقاً ... لم يكن قط بيننا مزاح ... ولكن ...

الجنى : ولكن ماذا ؟ إن الفضاء الذى يحمل طائراً ليستطيع أن يحمل كل شيء ... ما وجه الغرابة والدهش ؟..

الصياد : وهذا البساط يسير بهما ...

الجنى : كالسفينة تدفعها يد الريح ...

(بساط الريح وعليه سليمان وبلقيس فى سماء الشرفة)

الصياد : (**يلتفت**) انظر ... انظر ... ها هو ذا ... هاهما .. على بساط الريح ...

الجنى : أجل ...

الصياد : يالقوتك العجيبة أيها الجنى العزيز .. فى إمكانك إذن أن تصنع كل شيء ...

الجنى : كل شىء ...

الصياد : نعم ... نعم ... كل شىء ... فى إمكاننا كل شىء ... كل شىء ...

الجنى : آمنت بى الآن ؟..

الصياد : كل الإيمان ...

الجنى : هلم بنا نخرج ... ولنترك لهما المكان ... ولا تحسب إنى نسيت الرغبة المدفونة فى أعماق قلبك ؟..

الصياد : أى رغبة ؟

الجنى : حبك القديم ... هلم نبحث لك عنها ؟.

الصياد : كلا ... كلا .. لا أريد ...

الجنى : لا تريدها !

الصياد : لقد وعدتها أن أتركها وشأنها لقدرها ...

الجنى : آمن بى أيها الأحمق ... أسلم أمرك لى .. وكفى ...

(يجذبه إلى الخارج)

(سليمان وبلقيس يهبطان الشرفة ويدخلان)

بلقيس : (**على العتبة**) ما هذا أيضاً يا سليمان !

سليمان : صرح شيدته لك ...

بلقيس : لى أنا ؟

سليمان : نعم ... تقدمى ...

بلقيس : (**تكشف عن ساقها وكأنها تخاطب نفسها**) كيف أجتاز هذه اللجة ؟

سليمان : (**ضاحكا**) إذا أذِنت لى فإنى أحملك ...

بلقيس : وأنت ؟ ألا تخاف البلل ؟

سليمان : فى سبيلك لا أخاف شيئاً ...

بلقيس : تريد حملى على ذراعك فوق هذا الماء ؟

سليمان : أرجو ذلك ...

بلقيس : كما حملتنى على بساطك فوق هذا الهواء !..

سليمان : إنها لسعادة كبرى أن يكون لذراعى حظ بساطى ...

بلقيس : نعم .. نعم .. أدركت الآن ما تريد ... فلتكن مشيئتك ...

سليمان : (**يحملها ويجتاز بها أرض المكان نحو الفرش**)

يتحدثـون بكنـوز سليمـان ... ولكنـي أحمل الساعة ...

بلقيس : (**مازحة**) حذار الغرق ... ياله من بحر عجـاج متلاطم الأمواج !..

سليمان : إنى حقاً أخشى الغرق . ولكن ...

بلقيس : ولكن ... ليس بالطبع فى هذه اللجة من الزجاج !.

سليمان : (**وهو يضعها فوق الفرش**) عسى أن تغفرى لى هذه الأكذوبة الصغيرة !..

بلقيس : لست أملك غير ذلك وأنا فى يدك ..

سليمان : إنك لست الآن فى يدى ... ها أنذا قد أجلستك حرة فوق فرشك ...

بلقيس : أتظن هذا يكفى ؟

سليمان : وأجلستك من قبل حرة فوق عرشك ...

بلقيس : هذا حق ... ولكن ...

سليمان : ولكن ماذا يا بلقيس ؟

بلقيس : واأسفاه !.. كنت أحسبك يا سليمان صديقاً !..

سليمان : عجباً ! ما الذى بدا لك ؟

بلقيس : أشياء كثيرة ما كنت أرجو أن تبدو لعينى ...

سليمان : أفصحى قليلا .

بلقيس : أيجوز لى أن أفصح لسليمان ... ذلك الذى يعرف كل لغة حتى لغة الطير ؟!.

سليمان : هنالك يا بلقيس نوع من الطير لا أعرف لغته .

بلقيس : لماذا تنظر إلى هكذا ؟

سليمان : أريد أن أقرأ فى عينيك جريمتى عندك ؟

بلقيس : لا يا سليمان ... لم يبلغ الأمر بعد حداً يستحق هذا النعت ... كل ما فى الأمر أنى ...

سليمان : تكلمى يا بلقيس ...

بلقيس : أخبرنى : لماذا تحاول أن تبهر عينى بكل هذه الأعاجيب ؟..

سليمان : وهل استطعت حقاً أن أبهر عينيك ؟

بلقيس : أهذا ما ترمى إليه ؟.

سليمان : فى نبراتك ونظراتك ما يشبه النذير . لست أجد بعد

ما يجدر بى أن أقول .

بلقيس : يجدر بك أن تقول الصدق . يجدر بك وبى أن نقول الصدق .

سليمان : آه ... إن الصدق مخيف أحياناً .

بلقيس : أهنالك شيء يخيفك أنت يا سليمان ؟!

سليمان : لست أدرى ... ربما أخاف كلمة تخرج من شفتيك الآن !..

بلقيس : لن أقولها ... مثلك يا سليمان ليس فى حاجة إلى هذه الكلمة ليفهم ...

سليمان : حتى الفهم أخشاه ...

بلقيس : إنى أرثى لك ..

سليمان : ترثين لى ؟

بلقيس : لو استطعت لك شيئا غير ذلك ما ترددت ...

سليمان : لقد قلت كل شيء الآن يا بلقيس . شكراً لك .

(ينهض للانصراف)

بلقيس : **(تنظر إليه ولا تدرى ما تجيب)** ؟

سليمان : ؟

بلقيس : أتنصرف هكذا ؟..

سليمان : لست أظن أن لديك بعد ما تقولين لى ؟

بلقيس : كان بودى مع ذلك أن أتلطف فى القول ...

سليمان : وماذا يجدى هذا الآن ؟

بلقيس : لقد قدمت إليك صداقتى يا سليمان ..
ولكنك تسألنى مالا أملك أن أعطيك ...

سليمان : (**يطرق ويكتم ما به**) ؟

بلقيس : ثق أنى ...

سليمان : أهو يعلم أن قلبك فى قبضته ؟

بلقيس : لست أدرى . أخاف مع ذلك أن يكون قد شعر ...

سليمان : شعر بلهبه يلسع أصابعه !

بلقيس : (**تطرق**) ؟

سليمان : ولماذا تخافين أن يعرف ...

بلقيس : آه ... لا تسألنى بربك يا سليمان ...

سليمان : أريد أن تخبرينى ...

بلقيس : لم يعد من السهل علىّ الآن ...

سليمان : نعم ... أرى أنه لم يعد من السهل عليك الآن أن تفضى إلىّ ... قد كان يسرك ذلك بالأمس ..

بلقيس : نعم . بالأمس ...

سليمان : إنى مصغ إليك دائما يا بلقيس ...

بلقيس : بربك يا سليمان لا تسألنى هذا ..

سليمان : أتجدين اليوم كل هذا الحرج فى أن تكشفى لى عن ذات نفسك ؟!

بلقيس : ألا نستطيع الكلام فى شىء آخر غير هذا يا سليمان ؟

سليمان : (**كالمخاطب لنفسه**) آه ... كل الأبواب قد أوصدت فى وجهى الآن !

بلقيس : أخبرنى ... أحقا يا سليمان أن لك من النساء ألف زوجة !

سليمان : (**شارد الفكر**) نعم ...

بلقيس : جميلات كلهن ؟!

سليمان : نعم ...

بلقيس : من بين نساء كل بلد من بلاد الأرض جاءت إليك أجملهن : نبيات الجمال يفدن إليك برسالة الحسن ...

سليمان : نعم ...

بلقيس : أحقا كانت « شولميت » الحسناء بذلك البهاء الذى وصفت ؟..

سليمان : أقرأت نشيد أنشادى ؟

بلقيس : أوَ نسيت أن يد حكمتك قد حرصت على أن تدسه بين وسائدى ؟ كيف لا أقرؤه ؟ إنى لم أستطع النوم البارحة حتى تلوته مرات ومرات .. آه ما أعذب هذه الكلمات « أسقنى قبلات فمك ، فحبك أشهى من الخمر ، وعطرك طيب الشذا ، واسمك ملء الفضاء عطر ... لقد بحثت فى فراشى الليالى الطوال عمن يهواه قلبى ، فما وجدت إليه السبيل ... »

سليمان : (**ناظراً إليها فى رنو**) ما أجملك يا حبيبتى ، ما أجملك أنت بين النساء كالسوسنة بين الأشواك . أنت جميلة مثل أورشليم . أنت رهيبة مثل جحافل ذات أعلام ... حولى عينيك عنى ، فلقد ألقتا الاضطراب فى قلبى . من بين ستين ملكة وثمانين محظية ، من بين

عذارى لا يحصيهن عد ... « من بين ألف زوجة من حسان الأرض » ... أنت وحدك حمامتى . أنت وحدك الكاملة ...

بلقيس : (**هامسة وكأنها تخاطب شخصاً بعيداً**) أنا لحبيبى وحبيبى لى ... كنت نائمة ولكن قلبى يقظان ... فسمعت صوت حبيبى يقرع أذنى ... لقد كنت خلعت قميصى ، فنهضت أرتديه ، لقد كنت غسلت قدمى ، فقمت أطأ بهما التراب. نشطت لصوت حبيبى ... ولكن حبيبى كان قد مضى وغاب ... فكادت تذهب بذهابه نفسى ، بحثا عنه فى الظلام فما وجدت إليه السبيل ... ناديته فما أجاب ...

سليمان : (**يتأمل جسمها**) ما أجمل قدميك وساقيك !... إن حبك أشهى من الخمر . وشذاك أطيب من كل عطر . شفتاك تقطران العسل يا جميلتى ... (**يشم طويلا**) ثيابك يتضوع منها أريج مثل أريج لبنان .

أنت جنة مغلقة .أنت نافورة انبثق ماؤها على صورة فردوس . غرس فيه الرمان وتدلت العناقيد . ورقصت الزهور والرياحين . من مر وعود وناردين ، وكل شجر يجعل منه البَخور .. ما أجملك يا حبيبتى ! عيناك مثل بحيرات « حشبون » وثدياك أيلان بل توأمان من بطن غزالة . وعنقك برج من عاج . وشعرك كأنه الأرجوان ، قد شدت خصلاته وثاق ملك !.. أنت نخلة وثدياك العناقيد .. فليكن ثدياك مثل عناقيد الكرم . وعطر أنفاسك مثل رائحة التفاح .. وفمك مثل أطيب الخمر ...

بلقيس : (**كأنها تمد شفتيها لشخص وهمى**) يسيل سائغاً من أجل حبيبى . ويقطر صافيا بين شفتيه ... أنا لحبيبى وحبيبى لى ... يا من يهواه قلبى ... اجعلنى خاتما تطبع به فؤادك ... واجعلنى خاتما على ذراعك . فالحب قوى كالموت . آه ... أستحلفكن يا بنات أورشليم إذا وجدتن حبيبى أن تخبرنه أنى من الحب

مريضة ...

سليمان : (**ناظرا إلى بلقيس**) بم يفضل حبيبك الناس أيتها الجميلة بين النساء ! بم يفوق حبيبك غيره من الرجال !!

بلقيس : (**كالحالمة وكأنها تصف شخصاً بعيداً تعرفه**) حبيبى كالفضة الممزوجة بالذهب . إنه يميز من بين عشرة آلاف ، رأسه ذهب إبريز ، وخصلاته طائرة حالكة كأنها غراب ، وعيناه حمامتان على حافة جدول تغتسلان فى اللبن ، وخداه خميلة من الطيب ، وشفتاه سوسن يقطر منه العسل ، ويداه طوقان من ذهب مرصعان بالزبرجد ، إنه جميل مثل لبنان ، إنه جليل مثل الأرز ، فمه هو الحلاوة ، وكل شىء فيه هو السحر ، هذا هو حبيبى ، هذا هو خليلى ...

سليمان : (**فى نبرة غيظ مكتوم**) هذا هو أسيرك ... أهو كذلك حقاً !!.

بلقيس : (**كالحالمة**) نعم ..

سليمان : يا لك من امرأة !.. كل ما فى نشيدى من صفات ، أسبغتها أنت على حبيبك !..

بلقيس : (**تفيق**) ماذا تقول !

سليمان : لو كنت أعلم أنك ستسهرين ليلتك تناجين بأشعارى من تحبين ، ما دسستها قط بين وسائدك !...

بلقيس : حقاً يا سليمان ... شكراً لك ... لقد كانت ليلة جميلة !..

سليمان : (**كالمخاطب لنفسه**) ما أقسى المرأة التى تحب !

بلقيس : (**تتنبه**) أتراني أحدثت بك ألماً يا سليمان !

سليمان : أنت ولا ريب لا تدركين ما تفعلين بى ...

بلقيس : عفواً . إنى ... حقاً لم أفطن إلى ما خرج الساعة من بين شفتى ...

سليمان : لأنك لا تشعرين بوجودى قربك .

إنك لا تبصرين غير شبحه هو ... ولا تخاطبين غير طيفه دائما ...

بلقيس : (**فى حيرة**) لم أعد أعرف يا سليمان بماذا أجيبك ؟!

سليمان : إنك المرأة الوحيدة التى صنعت بى ذلك ...

بلقيس : الوحيدة ؟

سليمان : لم تضعنى قط امرأة فى مثل هذا الموضع الذليل ...

بلقيس : إنى لآسف ...

سليمان : ما من امرأة قبلك سمعت ندائى و لم تقبل على ، ملقية بفؤادها عند قدمى ...

بلقيس : (**فى شبه تهكم خفيف**) إن جرمى إذن لعظيم ..

سليمان : أتتهكمين؟

بلقيس : بل إنى لجادة فى القول . أنا الوحيدة بين ألف امرأة على الأقل ، لم ألق بفؤادى عند قدميك !... إنى لأتساءل مع ذلك : ماذا يهمك قلب واحد ما دمت تطأ قلوب نساء يحصين بالألف عدداً ؟!.

سليمان : وماذا تهمنى قلوب نساء الأرض جميعاً ما دام هنالك قلب واحد لا يستطيع صوتى أن يبلغ أعتابه !

بلقيس : حقاً ... هذا امتهان لسلطان سليمان العظيم !

سليمان : تعرفين ذلك وتقولينه ؟!..

بلقيس : ومع ذلك لم ألق بقلبى عند أقدامك ...

سليمان : إنك ألقيت به فى التراب عند موطئ أقدام أسيرك ..

بلقيس : نعم ...

سليمان : أسيرك الذى لا يملك من أمره عندى ما تملك نملة من تلك النمال التى أسمع دبيبها عند نعلى ...

بلقيس : نعم ...

سليمان : لو أن لك عينين تبصرين بهما مكان حبيبك من مقام سليمان؟!

بلقيس : إنى أبصر مقامك فى السماء . ومكانه فى الرغام ... ومع ذلك فلو أن قلبى فى يدى ما زال حراً لمنحته إياه مرة أخرى .

سليمان : ماذا تقولين أيتها المرأة ؟.

بلقيس : إن حبى ما ارتفع قط فى عينى . وما حسن معناه فى نفسى مثل الآن .

سليمان : هنيئا لك به .. لكن اعلمى أنى لو أردت حقا أن أظفر بقلبك ما امتنع علىّ ذلك .

بلقيس : أو تستطيع ؟

سليمان : إن الذى استطاع أن يرتفع بك إلى قمم السحاب ، وأن يسخر الريح فى حملك ، لقدير أن يهبط إلى أعماق نفسك ، وأن يغير ويبدل فى صفحات قلبك .

بلقيس : (**فى شبه سخرية**) إنى لحريصة على رؤية هذه الأعجوبة!

(**تنهض**)

سليمان : سترينها .

بلقيس : إلى اللقاء إذن ...

(**تنصرف**)

سليمان : (**لا يجيب ... ويطرق فى غضب كظيم**) ؟

(**الجنى والصياد يطلان برأسيهما من خلف باب**)

سليمان : (**كالمخاطب لنفسه**) ماذا صنعت يا رباه !... ما الذى وخزنى هكذا فخرجت عن طورى بهذه السرعة !...

الصياد : (**يتقدم متعثرا فى تردده**) لعلك بخير يا مولاى !

الجنى : كيف الحال يا مولاى ؟

سليمان : (**يرفع رأسه صائحاً**) تقدما أيها اللعينان الخادعان !

الصياد : (**يدفع الجنى**) تقدم أيها ... اللعين الخادع !..

الجنى : ماذا حدث أيها الملك ؟

سليمان : القلب . القلب ... أبعد منالا مما تظنان أيها الأخرقان ! آه .. كيف أصغى إلى هراء مخلوقين مثلكما . ؟ أى عقاب أنزله بكما الآن ؟!

الصياد : يعجبك هذا أيها الجنى ؟!

الجنى : مولاى !.. امض فى نضالك ... ولا تفقد الأمل وشيكا .

سليمان : عنادك أيها العفريت سوف يكلفك ما لا تطيق .

الجنى : إنى راض بتحمل التبعة أيها الملك .

الصياد : مهلا .. مهلا . إنى غير راض ، ولا شأن لى بهذا العفريت الماجن !..

الجنى : صه أيها الرعديد الخامل ... دعنى أعمل ..

سليمان : أوَ أصغى إليك بعد الآن ... وقد جعلتنى سخرية هذه المرأة ؟!

الجنى : صبراً أيها الملك . إنه لمن السهل أن نظفر بمأربنا ...

سليمان : إنه لمن السهل أن نملأ البصر انبهاراً ، وأن نهز النفس إعجاباً ، وأن نقنع العقل بقوتنا ، وأن نبرز ضعف غريمنا ... دون أن نظفر بعد ذلك بسر الحب أو نهتدى إلى فتح مغاليق القلب ...

الجنى : باب القلب ككل الأبواب ، إذا لم يفتح بالمفتاح ، فإنه يفتح بغير مفتاح .

الصياد : وكيف يفتح الباب بغير مفتاح ؟؟..

الجنى : يحطم .

الصياد : هذا العفريت يا مولاى سيأتى إلينا بمصيبة !

الجنى : دعونى أعمل ... دعونى أعمل ...

سليمان : إياك أن تمس هذه المرأة بسوء .

الجنى : لن تمس بسوء . عندى الوسيلة الناجعة . ولكن الذى ينقصنى هى الثقة . الثقة بى . ثقوا بى ...

سليمان : أخبرنى ما وسيلتك ؟

الجنى : هذا الغريم الذى يسكن قلبها ويوصد بابه فى

وجوهنا ...

سليمان : حذار أن يلحقه أذى .

الجنى : لا تخش عليه .

سليمان : ماذا أنت فاعل به ؟

الجنى : سأسحره حجراً .

الصياد : شيء لطيف . أرأيت يا مولاى ؟!

الجنى : اسكت أنت ولا تفسد تفكيرى وتدبيرى !

سليمان : وبعد ؟

الجنى : وبعد أيها الملك ... فإنى سأجعل حول هذا الحجر حوضاً من الرخام . فإذا جاءتك حبيبته شاكية ، فأخبرها أنها لو شاءت أن تدب الحرارة فى ذلك الحجر ، وأن يعود حبيبها حياً كما كان ، فعليها أن تبكى الليل والنهار أمام الحوض الرخامى ، إلى أن يمتلئ بدموعها ، عندئذ يستيقظ هذا الحبيب ممتلئا حباً لمن أذابت بماء عينيها جموده الحجرى ...

سليمان : وكيف يظفرنا هذا بما نريد نحن ...

الجنى : لن أجيب الآن . سوف ترى أنت يا مولاى بعينيك .

سليمان : كدت أعتقد أنى صبرت عليك أكثر مما ينبغى .

الجنى : ثق بى أيها الملك ... ثق بى . أنا الذى جاءك بعرشها ، ألا أستطيع أن أجيئك بقلبها ؟!

سليمان : أراك تنفق فى ذلك وقتاً طويلا .

الصياد : إنه كان يجهل يا مولاى أن الطريق إلى قلب إنسان أطول أحياناً من الطريق إلى بلاد سبأ ...

الجنى : آه ... الحرية ... الحرية ... امنحونى بربكم حرية العمل ...

سليمان : إنك لتزين لى الأفق بأشياء تكاد تعمى بصرى ، فلا أميز ما ينبغى مما لا ينبغى . أآمرك أن تمضى أم آمرك أن تكف ؟.. لقد تركتك بالأمس تقودنى ، فماذا جنيت ...

الجنى : لكل ثمرة أوان أيها الملك . و لم يأن بعد الأوان لجنى هذه الثمرة . انتظر يا مولاى ... انتظر حتى أدعوك لتمد يدك للقطاف .

سليمان : متى ؟ متى ؟.. أترانى أمد يدى إلى سراب ... وأنا أمشى خلف هرائك البراق ؟!

الجنى : الأمل يا مولاى الأمل . ما ضرك لو وضعت فىّ أملك ، وتركتنى أعمل حتى أكل ؟؟

سليمان : حقاً ... لست أملك من الأمر الآن غير ذلك . رضيت أم كرهت !.. افعل بى ما شئت . سأنتظر . ولن أمل الانتظار ، مفسحاً لك فى الأجل ، ممكنا لك فى العمل . مشاهداً لما تستطيعه قدرتك ، متربصاً بما تأتى به عبقريتك . اذهب أيها الجنى ، واصنع ما أنت صانع ... دعنى أبصر إلى أى مدى يقف سلطانك مكتوف اليدين ...

المنظر الخامس

(مخدع فى الصرح . (بلقيس) جالسة مطرقة تبكى أمام حوض رخامى قد رقد فيه تمثال حبيبها (منذر) المسحور حجرا ... وعلى مقربة منها وصيفتها (شهباء) ...)

* * *

شهباء : ألا تستريحين لحظة مما أنت فيه يا مولاتى ؟!

بلقيس : ؟

شهباء : أصغى إلىّ قليلا ...

بلقيس : (**توفع رأسها**) دعينى يا شهباء ... دعينى ...

شهباء : ترفقى يا مولاتى بأجفانك وأهدابك .

بلقيس : لن تجف لى عين حتى ينهض حياً .

شهباء : لقد سهرتِ الليالى الطوال تبكين ...

بلقيس : ولن أكف عن البكاء حتى يمتلئ الحوض .

(**لحظة صمت** ...)

شهباء : آه ... لكم أتألم لك يا مولاتى !..

بلقيس : ؟

شهباء : ألا أستطيع لك شيئا ؟

بلقيس : (**فى شبه همس**) كلا يا شهباء .

شهباء : ألا أعاونك فأبكى معك ؟

بلقيس : لا ... أريد أن أشترى حياته بدموعى وحدها .

شهباء : (**تنظر فى الحوض**) لقد كاد الحوض يمتلئ بدموعك ... ولكنك كدت تذوبين تعباً ... إنما هى روحك كلها تسيل فوق هذا الرخام .

بلقيس : وأى بأس فى ذلك ؟ ما دام فيه رد روحه إليه ...

شهباء : إن تضحيتك لهائلة يا مولاتى .

بلقيس : إنى مسؤولة عن حياته . ولقد فقدها بسببى . فلأردنها إليه مهما يكن الثمن .

شهباء : لماذا صنع ذلك سليمان ؟

بلقيس : لست أدرى .

شهباء : ألم يقل إنه فعل ذلك لخيرك ؟!

بلقيس : لست أدرى بعد إن كان هذا لخيرى أو لشرى .

شهباء : مثل هذا الملك لا يستطيع أن يخلف وعده .

بلقيس : هذا كل أملى ...

شهباء : نعم ... لا أحسبه يريد أن يهزأ بنا .

بلقيس : أمن حق نبى حكيم وملك عظيم أن يذل قلب امرأة ، ويسخر من جلال ملكة ؟!

شهباء : هذا حقاً أمر مروع يا مولاتى .

بلقيس : لقد فعله مع ذلك ...

شهباء : أجل ... ضحكاته كل مساء ... وهو يشرف عليك من هذا الدهليز ... ويقف ينظر إليك لحظة وأنت تبكين ... ثم ينفجر ضاحكا ذلك الضحك الراعد القاصف ... ثم يمضى إلى حال سبيله ، تاركا صدى تلك الضحكات يهز أركان المكان ...

بلقيس : وأركان قلبى أيضا ...

شهباء : لماذا تحديت قوته يا مولاتى ؟.

بلقيس : ما كنت أحسبه يقدم على مثل هذا ؟

شهباء : إن الذى فى يده القدرة يقدم على كل شىء ، وينسى كل شىء ...

بلقيس : نعم ... نعم ...

شهباء : ليس فى يدنا نحن على أى حال غير الانتظار ..

بلقيس : (**كالمخاطبة لنفسها**) وياله من انتظار !

شهباء : لن تطول آلامك يا مولاتى ... إن دموعك كادت تغمر قلب حبيبك المسحور .

بلقيس : أحقًا يا شهباء ؟ انظرى جيدًا . فإن عينى قد كلتا ... إذا غمرت الدموع قلبه ، فإن الحوض يمتلئ ... وعندئذ ...

شهباء : وعندئذ يتفتت الحجر ، وتدب فيه الحياة ، وينهض « منذر » ليلقى بنفسه فى أحضان الجالسة إلى جواره تبكيه وتفديه ...

بلقيس : أترين فى الإمكان أن يتم ذلك فى القريب ؟

شهباء : يخيل إلى أنه أقرب مما نظن .

بلقيس : وافرحتاه !..

شهباء : (**تنظر فى الحوض**) أمامك فيما أرى قطرة أخرى أو قطرتان ...

بلقيس : إذا كنت واثقة مما تقولين ، فلتكن إذن دمعة الفرح ... وإنى لقديرة أن أذرف منها قطرات وقطرات ...

(**سليمان يظهر فى الدهليز** ...)

شهباء : (**تلتفت فى صيحة خافتة**) يا للهول !

بلقيس : ماذا ؟

سليمان : (**ينظر إلى بلقيس ويضحك طويلا**) ؟

بلقيس : (**دون أن تلتفت إليه**) هذا أنت ...

سليمان : أوَ ليس هذا وقت مجيئى ؟

بلقيس : نعم ... جئت على عادتك ... تمتع عينيك بمرآى دموعى !

سليمان : آه ... لو علمت كم يلذ لى مرآها !.. إنها تثلج قلبى .

لكأنه يغتسل فيها ، لكأنه يغمر فى ليلة من ليالى الصيف فى حوض من الماء المثلوج الزلال ...

بلقيس : إنما أذرف دمعاً سخيناً أيها الملك .

سليمان : إن قلبى ليحسه رطباً بارداً أيتها الملكة .

بلقيس : ليس يعنينى غير قلبه هو ... قلبه الحجرى . أيها الملك ، أيها النبى ... لقد وعدت أن ترده إلى نابضاً .

سليمان : سأفعل أكثر من ذلك .

بلقيس : ماذا ؟

سليمان : لقد وعدتك بأعجوبة ، سترينها ولا ريب من أمتع الأعاجيب !

بلقيس : متى ذلك ؟

سليمان : الآن إذا شئت . تعالى معى لحظة أحدثك عنها ... فى ضوء هذا القمر الساطع ...

بلقيس : لا ... لا أستطيع الآن مغادرة هذا المكان ... لم يبق على بعث منذر سوى قطرات ...

سليمان : إنما أردت أن أحدثك عنه ، وعما سترينه منه ... عند

بعثه الآن ...

بلقيس : ماذا سأرى منه ؟

سليمان : تعالى أخبرك ... انهضى ... لن أشغلك عنه طويلا ...

بلقيس : **(وهى تنهض)** لا أسمح لك بغير لحظة قصيرة .

سليمان : وأنا لا أريد غيرها ...

(تذهب بلقيس مع سليمان ويخرجان ... وتبقى شهباء مطرقة فى أحد الأركان ...)

(يدخل الجنى والصياد فى ذيله ...)

الجنى : لا تمسك بتلابيبى الآن . اذهب إليها ... ودعنى الساعة . أمامى عمل هائل !...

الصياد : لا أريد ذلك ... لا أريد أن أذهب ... لا ترغمنى على ذلك أبداً .

الجنى : قلت لك اذهب إليها أيها الأحمق . إنها تنتظرك فى الحديقة .

الصياد : لم أعد أحبها . ليس لى بها شأن اليوم ...

الجنى : ارتعادك ينم عن حبك ... اذهب ...

الصياد : إنها لم تخلق لى ... إنها لم تجعل لمثلى ... إنها زوجة سليمان . كيف أرفع البصر إلى زوجة من زوجات سليمان ؟!..

الجنى : لسليمان ألف زوجة . ولن يضيره أن ينزل لك عن واحدة .. إذا علم أنها هى صاحبتك القديمة التى اشتريتها بثمن لؤلؤتك !..

الصياد : لا أيها الجنى ... لا تجعلنى أفعل هذا !...

الجنى : آن أيها الأحمق . فى يدك القدرة على أن تنال ما تريد ... ولكنه الخمول ... الخمول ...

الصياد : لا أيها الجنى ... إنما هو ... هو شىء فى نفسى . لست أدرى ما هو ، يهتف بى أن هذا الأمر لا يحسن بى أن آتيه ...

الجنى : لا يوجد شىء يهتف بك غير الخوف والفرق والقعود عن المغامرة ، والرغبة عن الكد والجهد والمخاطرة ...

الصياد : أتوسل إليك ... أن ... لا تغرينى بما لا يجوز ...

الجنى : أفى كل خطوة تتردد وتتعثر وتجادل ؟ أهذه أول مرة أقودك فيها إلى مصيرك السعيد ؟ أصغ إلى نصحى ... اعمل بما قلت لك ..

الصياد : ماذا قلت لى ؟

الجنى : لا شيء بغير عمل .. اطلب تنل ...

الصياد : أطلب ماذا ؟

الجنى : حبك .

الصياد : أين أطلبه ؟

الجنى : عندها هى أولا . ثم عند سليمان . اذهب إليها وحادثها وفاتحها ... ثم اذهب إليه وحادثه وفاتحه ...

الصياد : أمن الحكمة أن أصنع ذلك ؟.

الجنى : يا لهذا المغفل الذى يتكلم عن الحكمة ، وفى يده مفاتيح النجاح !..

الصياد : قد يكون فى يدى حقاً مفتاح النجاح ... ولكن ...

الجنى : ولكن ماذا ؟ ماذا ؟ أريد أن أفهم ما الذى يحول بينك

وبين غرضك ؟

الصياد : يحول دون ذلك ...

الجنى : أف ... لكأن يداً أخرى خفية تجذبك إليها ... كلما أردت أنا أن أجذبك إلى ...

الصياد : ما أراك صدقت فى شيء مثل هذا أيها الجنى ... الحق إنى أكاد أمزق بين هذا الجذب وذاك ... ترفق بى ... دعنى أتنفس ... إنى فى حاجة إلى الراحة ...

الجنى : اذهب وتنفس فى الحديقة ... إنها خير مكان لذلك .

الصياد : سأذهب . ولكن لن أحادثها ...

الجنى : ستحادثك هى ... وعندئذ تشجع ... وتذكر نصائحى وتكلم ...

الصياد : اللهم عونك !..

(ينصرف)

الجنى : **(يتجه إلى ناحية شهباء المطرقة)** ماذا بك أيتها الوصيفة الرشيقة ؟!.

شهباء : **(ترفع رأسها وكأنها تخاطب نفسها)** مولاتى ...

الجنى : لقد أقصاها سليمان قليلا عن هذا المكان .. وذلك عمل صائب .

شهباء : أفى تلك اللحظة ... ولم يبق أمامها سوى قطرتين ...

الجنى : لقد كتب لهما أن تسيلا من عينين غير عينيها .

شهباء : ويلاه !..

الجنى : (**فى ابتسامة**) ولماذا تفزعين أيتها الوصيفة الأمينة ؟!

شهباء : عينان غير عينيها ؟! أبعد أن بكت تلك الليالى الطوال .. كل هذا البكاء !!

الجنى : وماذا يعينك أنت من هذا الأمر ؟

شهباء : كيف تقول لى ذلك يا هذا ؟!..

الجنى : هنالك امرأة أخرى كذلك كانت تبكى فى صمت داخل قلبها ، دون أن تسمح لدمعها أن يسيل ...

شهباء : لا ... لا ...

الجنى : لقد كانت تدفن حبها فى أعماق نفسها ، وتطويه فى أكفان من الكتمان ، راجية أن يموت مختنقاً . قبل أن

يظهر له شبح على مرآة عينيها الجامدتين ...

شهباء : (**فى ارتياع**) صه ... صه ...

الجنى : إنها كانت تحبه هى أيضاً ... ولكنه حب فظيع ... ذلك الذى لا يجرؤ صاحبه أن يهمس به حتى فى حنايا الصدر المغلق !!

شهباء : (**مرتاعة**) بربك اسكت يا هـذا .. اسكت ... اسكت ...

الجنى : لو استطاعت هذه المرأة أن تطلق من صدرها زفرة ، وترسل من عينها دمعة ، لعدت نفسها أسعد المخلوقات . ولما سألت فى الحياة بعد ذلك شيئاً ...

شهباء : لا ... لا ... لا أريد .. لا أريد ..

الجنى : بل يجب أن تريدى .

شهباء : اذهب عنى يا هذا ... أتوسل إليك أن تذهب ... لا ينبغى أن أصغى إليك ...

الجنى : بل يجب أن تصغى إلى ... لأن كلماتى تصب فى نفسك تلك القوة التى تبعث فيك الحياة .. يجب أن

تريدى ... اطلبى تنالى ...

شهباء : لا ... لست أطلب شيئاً ... هذا فظيع ...

الجنى : عجباً لكم !.. ما هو هذا الشيء الفظيع ... ما دام ذلك فى الإمكان ؟ ما دمت أعطيك القدرة على أن تظفرى ... ليس أمامك إلا أن تطرحى يأسك واستسلامك ... وتأملى وتعملى ...

شهباء : لست أريد ... لست أريد ذلك الحب ...

الجنى : لن تكونى خائنة لمولاتك ...

شهباء : صه ... صه ...

الجنى : ثقى أنها ليست خيانة منك لمولاتك .. ولكنها خيانة كبرى لحبيبك ... نعم ... من يدريك أن مولاتك عائدة إلى هذا المكان ؟!

شهباء : أوَ لن تعود لتحيى الفارس المسحور ؟!

الجنى : من يدرينا ؟!

شهباء : لا ... لا تقل إنك لا تدرى ؟! هذا مخيف ... إذا لم تعد فإنه سيبقى هكذا حجراً ...

الجنى : إلى الأبد ... أرأيت واجبك الآن ؟ أرأيت فظاعة ما تصنعين ؟.. إنك تتركين حبيبك حجراً ... وفى إمكانك أن تردى إليه الحياة بعبرة من عبراتك المكتومة ...

شهباء : آه ... رباه !... رباه ...

الجنى : أقدمى ولا ترددى !..

شهباء : بربك لا تجعلنى أقدم على ما لا ينبغى أن أقدم عليه ...

الجنى : إذا كان لا ينبغى لك أن تقدمى على إنقاذ هذا الرجل المنحوس ... فلا تفعلى !..

شهباء : آه يا إلٰهى !.. أريد إنقاذه ... ولكن ...

الجنى : ولكن ماذا ؟... فى يدك الآن مفتاح حياته ...

شهباء : لو علمت كم أعطى فى سبيل رد هذه الحياة إليه ...

الجنى : لا يكلفك ذلك أكثر من دمعتين ...

شهباء : لا تقل هذا ... لا تقل هذا ... روحى كلها غير جديرة أن تقدم إليه ...

(تبكى ... فيأخذ الجنى يدها ويقودها إلى

الحوض وهى لا تشعر ... فتتساقط فيه دموعها ..)

الجنى : (**فرحاً**) مرحى ... مرحى ... ها أنت ذى قد بكيت !.. يا لها من عبرات !! لكأنها صاعدة من نبع سحيق ...

(**يسمع صوت راعد ويرى برق لامع** ...)

شهباء : رباه ... رباه ...

الجنى : تحرك الحجر !..

شهباء : (**فى صيحة فرح**) منذر !.. منذر !..

منذر : (**ينهض قائماً**) حبيبتى ... منقذتى ...

الجنى : (**كالمخاطب لنفسه**) الآن وقد تمت مهمتى ... فلأدعكما هانئين ناعمين ... ولأنصرف إلى عمل آخر ...

(**يذهب** ..)

منذر : أنت يا شهباء فعلت هذا من أجلى ؟!

شهباء : (**تغطى وجهها بكفيها**) ؟

منذر : لماذا تخفين وجهك فى كفيك ؟!

شهباء : (**دون أن ترفع يديها عن وجهها**) منذر ...

منذر : (**يجذب يديها**) دعينى أتأمل عينيك ...

شهباء : لا ... لا ... إنى ...

منذر : ماذا بك ؟ لماذا تضطربين ؟ ما الذى يخيفك ؟

شهباء : أرجو منك أن ... أن تتركنى وشأنى ...

منذر : عجباً ... أهكذا تخاطبين من أعطاك قلبه ...

شهباء : إنه ليس لى ... إنه ليس لى ...

منذر : بل هو لك يا شهباء!.

شهباء : لا .. لا .. إنى لست به جديرة ..

منذر : إنه ملكك .. لقد اشتريته بدموعك !

شهباء : آه .. رباه .. ماذا أقول لك ...

منذر : لا تقولى شيئا . حسبى ما أعرف ..

شهباء : لا ... لا أستطيع أن آخذ هذا القلب ..

منذر : شهباء ..

شهباء : إنه ليس لى ... إنه ليس لى ... دموعى ليست وحدها الثمن ...

منذر : وإذا رأيتنى أخرّ هكذا عند قدميك ، لأقدم قلبى إليك ... أتجرؤين على المضى فى قسوتك ، فتأبين قبوله من يدى ...

(يجثو عند قدميها .. ويظهر عندئذ سليمان باسما يقود بلقيس .. فتقف بلقيس مذهولة أمام هذا المنظر ...)

شهباء : (**تحاول إنهاضه بيديها**) منذر ... منذر ... إنى ... لست وحدى التى بكتك ؟!

منذر : (**دون أن ينهض**) بكاؤك وحده هو الذى هز نفسى ...

شهباء : إن الحوض لم يمتلئ بعبراتى ... إنى لم أذرف غير قطرتين ...

منذر : هاتان القطرتان هما اللتان بلغتا قلبى ...

شهباء : آه ... لو كنت أرى حبى خليقاً بك ... ولكنى لست وحدى التى تمنحك حبها ..

منذر : حبك وحده هو الذى يعنينى ...

(ينهض ويطوقها بذراعيه ويقبلها)

بلقيس : **(شاحبة بلا حراك كالميتة)** ؟

سليمان : **(ضاحكا)** أرأيت يا بلقيس ؟! تلك أعجوبتى !..

(بلقيس تنهار ... فيسندها سليمان .. وقد انقطع ضحكه فجأة .. وتغير وجهه ...)

المنظر السادس

(البهو الكبير فى قصر سليمان . سليمان مطرق حزين ، وأمامه الكاهن صادوق ...)

* * *

صادوق : لا تحزن أيها النبى ولا تلق بالا إلى ما حدث .

سليمان : صادوق !..

صادوق : لقد اتخذ شعرك لون الرماد . إنك لتتهدم بين يوم وليلة . لا تفكر أيها النبى فى هذا الأمر بعد الآن ..

سليمان : كيف لا أفكر فيه ... كيف استطعت أن أصنع هذا ...

صادوق : إنك لم ترتكب خطيئة . ثق أيها النبى بحقيقة نبوتك المنزهة عن الخطايا ...

سليمان : أيها الكاهن ... أيها الكاهن ... إنى أمنعك من أن تذكر بعد اليوم أنى معصوم .

صادوق : إنى لا أرى سوءاً فيما صنعت .

سليمان : لقد صنعت أمرا لا ينبغى أن يصنعه نبى ...

صادوق : ألأنك أحببت امرأة ...

سليمان : بل لأنى استخدمت وسائل فظيعة لقهرها وتعذيب قلبها .. لقد أردت التشفى من صدها برؤية دماء نفسها تشخب ، وجراح فؤادها تسيل ... حتى انهدت بين يدى ، وانهارت وأنا أرسل فى وجهها الشاحب الضحكات ...

صادوق : إن ربك قد وضع فى يدك القدرة وقد استخدمتها ...

سليمان : إنه أيضا قد وضع فى رأسى الحكمة فكان يجب أن أرى بها ...

صادوق : إنك قد رأيت بها وترى فى كل حين ... وليس من حقك يا سليمان الحكيم أن تعلن أنك أتيت أمراً غير حكيم ...

سليمان : أيها الكاهن .. لماذا تحاول دائما أن تبرر أخطائى ؟!

صادوق : هذا عملى .

سليمان : مرحى ... مرحى لنبى تحتاج فعاله إلى دفاع !..

صادوق : عجباً ... أولا تريد دفاعاً وتبريراً لأعمال النبى ؟..

سليمان : كنت أحسب النبى فى غير حاجة إلى ذلك ؟

صادوق : وما تكون إذن صناعة الكهنة ورجال الدين ؟..

سليمان : لا شأن لى بصناعتهم ... ولكنى كنت أود لو أصيح فى الناس : أيها الناس لقد ارتكبت معصية ، قد لا يأتى مثلها شركم روحا وأخبثكم نفساً ...

صادوق : (**يلتفت حوله فزعا**) صه .. صه .. أخفض من صوتك يا سليمان .. لئلا يسمع الناس قولك هذا !..

سليمان : وممَّ تخشى ؟..

صادوق : عجباً !.. أوَ تريد أن يعلم الناس أنك تخطىء مثلهم ...

سليمان : بل أريد أن يعلموا أنى أخطىء أحيانا أكثر منهم ...

وإنى لم أمنح نفساً من جوهر غير جوهر نفوسهم ...
وإنى لست خيرا منهم فى شىء ... إلا فى ذلك الألم
الذى يشقينى كلما تذكرت خطيئتى ... وفى ذلك
الندم الذى يهز كيانى ، وفى التماس التوبة الصادقة ،
والتوجه إلى ربى طالباً المغفرة ..

صادوق : إن قولك هذا خطير أيها النبى ...

سليمان : إنه الصدق .. الصدق .. لا شىء أجدر بنبى غير الصدق ...

صادوق : إنما النبى هو الصورة المثلى التى لا يجب أن تَرى فيها الأعين عِوجاً ، ولا تقع منها الأبصار إلا على جمال وكمال ...

سليمان : آه لكم أيها الكهنة ... بل أيها الفنانون المثالون المصورون .. إلى متى تعتبرون النبى تحفة فنية ، خارجة من بين أياديكم وخيالكم وأصباغكم لتعرض زاهية براقة على جدران المعابد !..

صادوق : ما دمت تريد الصدق يا سليمان ... فلأقل لك إنكِ

قد صدقت ... إن الدين فن ... فن علوى سماوى ... من أجل هذا وجب أن نرعى فيه أصول الفن : الجمال والكمال !..

سليمان : كلا يا صادوق ... فى نظركم أنتم فقط أيها الكهان هو كذلك ... لأنكم أصحاب صناعة وبراعة ... أما فى نظر الحق فهو ليس فناً ... لأنه أصدق من أن يدخل فى تركيبه البهرج والحذق والتمويه والتزويق ... إن الدين هو حقيقة القلب الإنسانى ... بما فطر عليه من خير وشر ... إنه الإحساس المجرد بقصورنا نحن الآدميين عن بلوغ الكمال ... وسعينا المتصل نحو الخير ، متعثرين أحيانا فى أذيال غرائزنا الشريرة ... الدين أمل وعزاء !.. نعم إنه الأمل والعزاء الصاعِدَان من أعماق تلك الدعوة الصادقة : أيتها السماوات ... إنى أريد الخير ولكنى أخطئ ... فأعنى أيها الرب على تحمل وقر ضعفى . وتبعات زلاتى .. وبصرنى بالطريق كلما أوشكت على

العثار ... وحبب إلى نفسى الفضائل واجعلنى قادراً على أن أسمو على نفسى بعض السمو ، لأكون جديراً ببركاتك التى كللت بها هامة الإنسان ، يوم خلقته من طين بيديك النورانيتين !...

صادوق : إنك تبالغ أيها النبى فى تقدير ما صنعت بهذه المرأة !..

سليمان : اذهب عنى ... إنك تحجب عنى بترهاتك ضوء السماء !..

صادوق : إنى تاركك يا سليمان حتى يهدأ بالك ... وتعود إلى سابق حالك ...

(**يخرج**)

(**سليمان يطرق . موسيقى .. يدخل آصف**)

آصف : قد فعلت أيها الملك ما أمرتنى به ...

سليمان : (**يرفع رأسه**) حبست الجنى ؟

آصف : نعم ... حبسته فى القمقم النحاسى . أألقى به فى البحر ؟..

سليمان : تمهل قليلا . أين الصياد ؟..

آصف : الصياد ... لم تأمرنى بعد بما أصنع به ...

سليمان : لا تصنع به شيئاً ... أحضره ...

(**يظهر الصياد فى الحال** ...)

الصياد : ها أنذا ... أيها الملك . إنى ببابك ، أرقب كلمتك وأنتظر حكمك .

(**سليمان يشير إلى آصف بالانصراف** ...)

سليمان : (**للصياد**) تنتظر حكمى فيك ؟

الصياد : نعم يا مولاى .

سليمان : إنى لست قاضيك .

الصياد : ماذا تقول ؟ بل أنت يا سليمان ... لأنك أعدل من حكم فوق هذه الأرض .

سليمان : لست الآن خليقاً بالفصل فى أمرك .

الصياد : لا تقل ذلك أيها النبى الحكيم .

سليمان : لقد اقترفت أنا أعظم مما اقترفت أنت من خطيئة .

الصياد : ماذا أسمع ؟!

سليمان : تلك هى الحقيقة .

الصياد : وما مصيرى إذن ؟.. ويلاه !.. إذا لم تحاكمنى أنت يا سليمان ، فقد يتولى ذلك قاض آخر أخشى قسوته ..

سليمان : من هو ؟

الصياد : نفسى .

سليمان : نعم .. نعم .. ويل لمثلك من نفسه ، إذا كانت هى قاضية !. أنا أيضا أخشى ذلك القاضى ولا أجد من ينقذنى منه ..

الصياد : أنت يا مولاى ؟!

سليمان : كنت أظن الكاهن صادوق يستطيع ذلك .. واأسفاه !.

الصياد : هوّن عليك يا مولاى !. لكأنى بك قد شخت دفعة واحدة فى شبه ليلة .. آه لو كنت أستطيع لك شيئا ..

سليمان : (**ينظر إليه مليا**) بل أنت الذى يستطيع أيها الصياد .

الصياد : أنا ؟!

سليمان : أنت الخليق أن تكون لى قاضيا .. ينقذنى من حكم نفسى ..

الصياد : أنا الصياد الحقير ..

سليمان : أنت وحدك الذى يملك محاكمة سليمان العظيم !..

الصياد : لماذا أيها النبى ؟ لماذا ترفعنى إلى هذه المرتبة ..

سليمان : لأنك تحمل قلباً نقيا ..

الصياد : لم يعد لى القلب النقى ... لقد أغرانى الجنى يا مولاى ، كما تعلم ، بالذهاب إلى الحديقة ..

سليمان : ولكنك لم تجرؤ على الدنو منها .. ولا على مخاطبتها .

الصياد : لقد نظرت إليها من بين الأشجار ، وذكرت أنها زوجتك ، فجمدت فى مكانى ...

سليمان : ما جريمتك إذن ؟

الصياد : الإصغاء إلى إغراء العفريت ... أليس هذا ذنباً كبيراً ؟!

سليمان : ولكنك عدت فأصغيت إلى صوت حكمتك وضميرك ، قبل أن تسير خطوة نحو الخطيئة ...

ولكنى أنا ... أنا الذى سار فى طريقها خطوات ..

الصياد : إنك يا مولاى قد عدت فندمت ... وبهذا محوت ما صنعته يد الجنى ...

سليمان : وهل يمحو الندم أسطار الذنوب ؟!.

الصياد : إذا صدر عن قلب صادق ... نعم .

سليمان : أحقا ترانى مستحقاً للرحمة ؟

الصياد : بقدر استحقاقى أنا للنقمة .. أيها الملك .
حاكمنى ... ليس يكفى حبسك الجنى فى القمقم .
فأنا شريكه ... المسئول ، كما تعلم عن فعاله .
أنسيت يا مولاى أننا فى نظرك كائن واحد ؟ أنسيت أن على كاهلى تقع أثقال أعماله ؟.. أيها الملك ... أيها النبى .. أنزل بى عقابك العادل ...

سليمان : أوَ لست أيها الصياد مثلى ضحيته !.. ولئن كنت أنا قد انخدعت بألفاظه ، واغتررت بأوهامه ، فكيف يجوز لى أن ألومك أنت ؟!..

الصياد : أحقاً ترانى يا مولاى لا أستحق عقاباً ؟..

سليمان : ما دمت قد ندمت هذا الندم الصادر عن قلبك الصادق ...

(يدخل آصف ...)

آصف : أيها الملك ... الملكة بلقيس قادمة لوداعك !..

(آصف يفسح الطريق للملكة بلقيس وهى قادمة بالثوب الذى جاءت به إلى أورشليم ...

موسيقى ...)

سليمان : (**ينهض لاستقبالها**) بلقيس !

(ينصرف الجميع تاركين سليمان وبلقيس وحدهما ...)

بلقيس : جاءت ساعة رحيلى . وإنى لأشكرك على حسن ضيافتك ...

سليمان : لو كنت أستطيع أن أنزل بنفسى العقاب أمام عينيك قبل ذهابك ...

بلقيس : انس ما حدث يا سليمان ...

سليمان : كيف أنسى ذلك ؟

بلقيس : لقد نسيت أنا كل شيء بزوال تلك اللحظة المروّعة . كما ينسى الحلم المزعج بمجرد استيقاظنا !.

سليمان : ما كان ينبغي لى أنا أن أحدث لك حلماً مزعجاً !..

بلقيس : لقد محوت ما صنعت وأعدت كل شيء إلى ما كان ...

سليمان : نعم . وأى فضل لى فى ذلك ؟

بلقيس : إنها كانت أعجوبة على كل حال من بين أعاجيبك . لقد غمرتنى حقاً فى عالم من الأحلام الغريبة . منها المفرح ومنها المحزن . منها المدهش ومنها المؤلم .. وإنى لأستيقظ من كل هذا الآن ...

سليمان : تستيقظين وأنت كما أنت . وقلبك هو قلبك ... وما صنعنا شيئاً أكثر من أولئك المشعوذين الذين يبهرون الأبصار بما لديهم من خدع وخيالات !..

بلقيس : لا تقل ذلك يا سليمان ... أنت حقاً صاحب قدرة هائلة ...

سليمان : ما قيمتها ؟ ماذا بلغت بها ؟

بلقيس : لن أنسى أنك رفعتنى على بساط الريح إلى السماء ...

سليمان : وما نفع هذه السماء ! وماذا قدم ذلك عندك أوأخر ؟ كلمة جميلة من بين شفتى من تحبين هى وحدها القديرة على رفعك إلى السماء .. إنها تلك السماء الحقيقية التى تقصر عنها إرادة الإنسان !...

بلقيس : (تتنهد) صدقت يا سليمان !..

سليمان : إنى عجزت عن نفعك ونفع نفسى !.. فى يدى القدرة الهائلة .. فى يدى الأعاجيب والعبقرية والمواهب .. فى يدى الكنوز ... أنا الملك العظيم والنبى الحكيم ... أنا المسيطر على الجن والإنس ... والرجال والأموال .. ومع ذلك .. هل أجدى كل هذا شيئا أمام قلبك ..

بلقيس : حقا يا سليمان .. إن قلب الإنسان لهو الأعجوبة العظمى ..

سليمان : أجل يا بلقيس ..

بلقيس : أعجوبة موصدة أمام القدرة ..

سليمان : وأمام الحكمة ..

بلقيس : نعم ..

سليمان : بماذا تفتح إذن مغاليقها ؟..

بلقيس : لست أدرى ..

سليمان : نعم .. هنالك شيء مفتاحه فى يد الرب وحده ..

بلقيس : يدهشنى أنك كنت تجهل ذلك يا سليمان !

سليمان : هى القوة يا بلقيس ... تعمى بصائرنا أحيانا عن رؤية عجزنا الآدمى ، وتنسينا ما منحنا من حكمة ... وتزين لنا المضى فى كفاح لا أمل فيه ... فنسير بغرورنا تحت نظرات الرب الساخرة ... آه يا بلقيس ! ما ظنك بى بعد اليوم ... وما لون ابتسامتك إذا ذكرت أمامك بعد الآن حكمة سليمان !

بلقيس : لا تخش شيئا ... إنى أفهمك وأدرك ما أنت فيه ...

سليمان : آه يا بلقيس ! ليس يُخشى على الحكمة من شيء غير القدرة .

بلقيس : هذا صحيح يا سليمان ...

سليمان : الآن أدركت لماذا أعطانى ربى ما لم أسأل ... وهو السلطان والغنى والقدرة إلى جانب ما سألت وهو التمييز والحكمة .. ها هنا الامتحان العسير ! ها هنا الامتحان العسير !.

بلقيس : حقا ... ما أعسر الملاءمة بين هؤلاء جميعا !.

سليمان : ربما كانت الحكمة الحقيقية هى فى أن يعرف الإنسان كيف يحكم قدرته !.. وها أنذا قد فشلت فى ذلك ... وإذا بصيرتى تُطفأ لحظة تحت رياح قدرتى العاتية ...

بلقيس : هون عليك ولا تأخذ نفسك بهفوة واحدة ...

سليمان : إن الأمر لأعظم من هفوة ... إنها غلطة كبرى ... إنها أخطاء ...

بلقيس : من هذه الأخطاء تبرز أحياناً بصائرنا متفتحة ... كما تتفتح الأزهار النابتة فى الأوحال ...

سليمان : بلقيس !.. أأنا جدير بهذا التسامح الكريم منك ؟ أمن فمك أنت أسمع هذا العزاء الجميل ؟!

بلقيس : نعم أيها الصديق ... من ذلك الفم الذى لم يستطع أن يسمعك ما أحببت ...

سليمان : آه .. لو كنا ندرى ؟!. إن الحب لقدر ... قدر صارم ... يضرب ضربته حيث يريد هو ...

بلقيس : لا حيث نريد نحن ... أصبت يا سليمان !..

سليمان : لا ينبغى مع ذلك أن نكره هذا كثيراً ... يجب أن تكون فينا زهرة لم ترو ، وجوع لم يشبع ، ورغبة لم تنل ، وصيحة لم تسمع ... بهذا نستطيع أن نكون جديرين حقاً بالحكمة والتمييز ، خليقين بفهم القلب الإنسانى ومخاطبته ، قديرين على أن نحمل إليه العزاء ، ورسالات السماء ...

بلقيس : إنى لفخورة يا سليمان أنك أحببتنى يوما ... وخجلة أنى لم أمنحك ...

سليمان : إنى راض الآن بصداقتك ... وهى شىء أعظم مما أستحق ...

بلقيس : هى شىء عظيم حقاً .. ولكنك خليق بها ... آه

يا سليمان ... هو أيضاً قد وهبنى صداقته بعد أن علم بأمر دموعى ..

سليمان : لا تذكرينى بدموعك !

بلقيس : إنها مع ذلك لم تذهب هباء .

سليمان : لو كان فى استطاعتى أن أمنحك قلب منذر ...

بلقيس : قلبه كان ملكا لشهباء منذ أمد بعيد دون أن أعلم ..

سليمان : منذ أمد بعيد ؟

بلقيس : نعم منذ أن وقع فى الأسر وجاء قصرى وأبصرها ..

سليمان : أتحاولين أن تخففى من وقر ذنبى ؟.

بلقيس : لا .. بل هى الحقيقة التى كانت خافية عنى .. إن وفاء شهباء قد استطاع أن يكتم طويلا ذلك الحب بينهما .. إن هذه المرأة الأمينة قد فعلت المستحيل لتدفع عن نفسها شبح ذلك الحب .. إرضاء لى وخشية على .

سليمان : ولكنك تألمت ..

بلقيس : نعم .. أول الأمر .. ولكنى الآن أفهم وأبصر كما ينبغى أن أفعل .. إذا أذنت فإنى أمنح شهباء ومنذراً

بعض ما أهديت لى اليوم من نفائس ، هدية منى لعرسهما .. قبل رحيلهما إلى بلاد منذر ..

سليمان : ألا تخشين إطلاق أسيرك ؟..

بلقيس : الآن لا ..

سليمان : أجل .. إن الصداقة لشىء عظيم .. إنها الوجه الآخر غير البراق للحب .. ولكنه الوجه الذى لا يصدأ أبدا ..

بلقيس : وداعاً أيها الصديق !..

سليمان : وداعاً أيتها الصديقة ..

(تعزف موسيقى ويدخل الوزير آصف والأتباع والرؤساء ليشيعوا الملكة بلقيس مع سليمان وهما خارجان ...)

المنظر السابع

(فى الصرح . سليمان نائم على كرسيه . متكئ على عصاه . الكاهن صادوق وآصف بن برخيا ، والصياد ، يتهامسون) .

الكاهن : لا يمكن أن يكون نائما طول هذا الوقت !

آصف : ما من مرة سألت عنه إلا وجدته على هذه الحال ..

الصياد : صه .. أخفضا من صوتكما .. لئلا توقظاه ..

الكاهن : لسنا نطلب غير هذا .. إنا لم نره قط مستيقظاً منذ شهور ..

آصف : حقاً .. بعد سفر بلقيس أخذت أموره تتغير .. وبدت عليه علامات لا تنبئ بخير ..

الكاهن : يخيل إلى أنه مرض .. ولكنه كان يكتم مرضه ..

آصف : نعم .. إن أمره مكتنف بالغموض إلى حد يثير

القلق ..

الكاهن : ما من أحد يعرف سره غير هذا الرجل ..

(**يشير إلى الصياد**)

آصف : حقاً .. هذا الصياد هو وحده الذى كان مقربا إليه .. فى العهد الأخير ، ولطالما ألفيتهما معاً منفردين يتساران ..

الكاهن : تكلم أيها الصياد ..

الصياد : صه .. صه ..

آصف : ألا تريد أن تتكلم ؟!

الصياد : عم أتكلم ؟ لست أعرف أكثر مما تعرفان .

آصف : أخبرنا ما ذا به ؟

الصياد : ما به شيء . إنه نائم على عصاه كما تريان .

الكاهن : منذ متى ؟

الصياد : لست أدرى .

الكاهن : متى رأيته مستيقظاً ؟ متى تحادثتما آخر مرة ؟

الصياد : لست أذكر .

آصف : إنك إذن تتعمد أن تخفى عنا ..

الصياد : أخفى ماذا ؟

آصف : أمره ..

الكاهن : إذا لم تخبرنا فإنى أذهب إليه وأعالج إيقاظه ..

الصياد : (**يسد الطريق**) لن يدنو منه أحد وأنا هنا .

آصف : عجباً .. عجباً ..

الكاهن : من منحك كل هذا الحق ؟!

الصياد : هو .. أمرنى أن أسهر على راحته .. ولا أدع أحداً يزعج نومه .

الكاهن : أطلعنا على جلية الأمر ... أهو حقاً نائم ؟

الصياد : وماذا يكون إذن ؟

الكاهن : فى الحق إنه أمر محير .

آصف : لماذا لا نلتمس له الطب ؟!

الصياد : من قال إنه يشتكى ؟.

آصف : هذا النوم الطويل ...

الصياد : هذا ليس مرضا ... قلت لكما إنها راحة هو فى حاجة

إليها ..

الكاهن : (**يلتفت جهة سليمان**) . عجبى لهذا الجثمان الجامد فوق كرسيه؟! لا حركة، ولا هزة، ولا إشارة، ولا خلجة ...

آصف : (**يلتفت أيضاً**) حقاً .. يا له من جثمان ليس به حراك !..

الكاهن : أيمكن أن يكون فى هذا الشىء الجامد حياة ؟!.

الصياد : ما هذا الهراء الذى تقولان ؟

الكاهن : إذا مات سليمان يوماً ... فإنه لا يموت كبقية الناس .. ذلك أن صدى موته قدير أن يزلزل أركان مملكة الجن ومملكة الإنس فى طرفة عين ..

آصف : لا شك أنه عرف ذلك وتدبره ..

الصياد : لماذا تتحدثان عن الموت الساعة ؟!

الكاهن : إنه مجرد خاطر عابر ..

آصف : ما السر فى أنه مقيم ها هنا .. فى صرح بلقيس .. الذى شيده لها ؟!. لقد جاءه بعد رحيلها ... وما غادره

قط ..

الكاهن : سر ذلك عند الصياد .

الصياد : ألن تدعا الصياد وشأنه ؟! لطالما حدثتنى نفسى أن آخذ شبكتى وأعود إلى حرفتى ..

الكاهن : وما الذى يمنعك ؟.

الصياد : يمنعنى ..

آصف : تكلم !..

الصياد : (**يلتفت جهة سليمان**) صه ... سمعت حركة ..

الكاهن : أين ؟

آصف : (**صائحاً**) انظروا ... انظروا ..

(عصا سليمان تتفتت . وينهار جثمانه على الأرض ...)

الكاهن : جثمان سليمان !..

آصف : خر على الأرض .. خر على الأرض ..

(يهرعان نحو الجثمان صائحين فيعترضهما الصياد ...)

الصياد : أخفضا من صوتكما ..

الكاهن : ومم تخشى الآن ؟

الصياد : حذار أن تسمع الجن بأمر موته !..

الكاهن : صدق حدسى .. لقد كان ميتاً منذ زمن طويل ..

آصف : **(يفحص الجثة)** نعم .. نعم .. كان متكئاً على عصاه جثة هامدة، منذ أمد بعيد .. ولكنها الأرضة؟

الكاهن : أى أرضة ؟

آصف : (**يشير بأصبعه**) انظر .. انظر .. إلى هذه الجيوش الجرارة من دابة الأرض حول عصاه .. إنها كانت تقرضها كل هذا الزمن .. حتى نخرتها .. فانكسرت تحت ثقل جثمانه .

الصياد : والآن .. ماذا أنتما صانعان ؟

الكاهن : فلنضع الجثة أولا فوق هذا الفراش ، ونسدل عليها الأستار ..

(يحملونها ثلاثتهم إلى الفراش ويسدلون عليها الستر) ...

آصف : وبعد ؟

الكاهن : وبعد ... فلا بد من أن يعلن الأمر إلى الشعب ...

الصياد : لا مفر من ذلك إذن ؟!

الكاهن : وهل فى ذلك ريب ؟!

الصياد : لقد كانت كلمته الأخيرة لى : « فليعلم الجميع أنى نائم ، فلا يلمسنى أحدا » .

الكاهن : عجباً !.. أوَ كان يريد أن يحكم رعيته من الجن والإنس ، وهو ميت ، كما حكمهم وهو حى ؟!

الصياد : ربما كان يحسب ذلك فى الإمكان . ولعله كان يخشى انفلات أمر الجن ، ووقوع الفوضى بين مملكة الجن ومملكة الإنس ، فظن من الحكمة لخير رعيته ، أن يصنع ما صنع .. لقد نفذت مشيئته على كل حال .. كما رأيتما .. فكتمت خبره ما استطعت ، حتى عنكما .. ولكن مشيئة الله أرادت ، فيما أرى ، أن تسخر مما نسميه حكمتنا .. وها هى ذى أرضة ضعيفة عمياء قد أفسدت حساب سليمان الحكيم

العظيم ..

الكاهن : إن مشيئة الرب قد أرادت كذلك أن يقوم الكهنة ورجال الدين بعملهم .. هلموا بنا نشرع فى طقوسنا ...

الصياد : لم يبق لى الآن مقام ها هنا ..

الكاهن : تعال معنا .. لم لا تكون منا ..

الصياد : بل إنى عائد إلى حرفتى الأولى ..

(ضجة فى الخارج ... وأصوات غريبة ..)

الكاهن : ما هذا الضجيج ؟

آصف : هم ولا شك الجن ... علموا بموت سليمان.هلم بنا سريعاً نتدبر الأمر ...

(يخرج آصف والكاهن صادوق ...)

(الصياد يحمل شبكته ليخرج ... وإذا الجنى داهش بن الدمرياط يدخل ضاحكا ضحكات طويلة ...)

الصياد : عجباً .. من الذى أطلقك من القمقم ؟

الجنى : هذه المرة ... لست أنت بالطبع ..

الصياد : أعرف .. هذا ما توقعه سليمان . لقد ثرتم وانطلقتم يخرج بعضكم بعضاً من القماقم ... أليس الأمر كذلك ؟ آه ... ماذا أنتم صانعون فى الأرض ؟!.

الجنى : (**يضحك**) الآن .. نحن أحرار فوق هذه الأرض . فأبشر أيها الصياد ..

الصياد : بماذا تبشرنى ؟..

الجنى : بقتلك شر القتلات .. أنسيت أن بيننا حسابا قديماً ؟!

الصياد : لقد صفيناه .. وقتلتنى وانتهى الأمر !..

الجنى : متى ذلك ؟

الصياد : منذ وضعت روحى الوادعة وحياتى الساذجة بين يديك ، فصنعت بهما ما أردت ..

الجنى : ولكنك عدت فانفلت من يدى ووافقت على حبسى ..

الصياد : لأن الحكمة عادت إلى نفسى ...

الجنى : دع الحمق وأصغ إلى ... أنا الآن حر ... حر من كل القيود .. لا سيد لى ولا عمل .. فما تقول لو جعلتك ملكاً على هذا الشعب ، وزوجتك من حبيبتك وهى اليوم أرملة من أرامل سليمان .. وفتحت لك الكنوز ، وأتيت لك بالمجد والسلطان ...

الصياد : ؟

الجنى : لماذا تنظر إلى هكذا ؟

الصياد : آه ... لو استطعت أن أحبسك فى شبكتى هذه ...

الجنى : أيها الأبله ... هذه جعلت لتحبس فيها نفسك الصغيرة ... اذهب...

الصياد : (**يتحرك**) إنى ذاهب ...

الجنى : اذهب بخيبتك ...

الصياد : (**يقف**) أتستطيع أن تخبرنى أيها الجنى ، ما نفع كل هذه الأشياء التى تغرينى بها ؟ لقد كان سليمان يملكها كلها . ألم تكن له كنوز الأرض ، ألم يكن له السلطان والمجد ؟.. ألم يتزوج نساء فوق الحصر

والعد ؟! ومع ذلك خرّ كل هذا كأن لم يكن أمام كلمة صغيرة هى « لا » ارتسمت على شفتى امرأة واحدة !.. لا تحاول بعد اليوم أن تغرنى بقدرة آدمى !.. كلما أسرفنا فى الانخداع بملكاتنا ، جعلتنا السماء موضعاً للهزء والسخرية ... هو ذا الآن سليمان ... قد قلبت كل جلاله وعبثت بكل جبروته أرضة تسعى على الأرض ، فهو بصولجانه المنخور ... أيها الجنى ... ما عاد شىء يبهرنى أو يغرينى ... حتى ولا الحكمة نفسها !! إن اليوم الذى يمتلئ فيه الحكيم شعوراً بحكمته ، هو أقرب الأيام إلى ساعة انكشاف الرداء عن حمقه المضحك !.. إنك تتحدث عن خيبتى .. ولكنى ما شعرت يوما بالخيبة الحقيقية إلا يوم عرفتك .. فعلى قدر الطموح تكون مرارة الفشل . وكلما عظمت القدرة ضخم ذل الخيبة ..

الجنى : أعترف بأنى .. لست أفهمك . فأنا لم أعتد التفكير

إلا فى الظفر والانتصار . ما ألذ نشوة الفوز .. إنها تنسى كل شيء غيرها .. وتساوى كل ما يبذل فى سبيلها ..

الصياد : إنها لنشوة على كل حال .. أى سكر وغيبوبة وخدعة ...

الجنى : لا تسخر من كلماتى ... ولا تحاول أنت أيضاً أن تغرينى بحكمتك الخاملة .. لن تثبط عزيمتى بمثل هذا الهراء ...

الصياد : كما تغرينى أغريك . وكما تخدعنى أخدعك . وكما تنازلنى أنازلك ..

الجنى : عجباً .. كنت أحسب أنى أجابه سليمان وحده .. وقد مات سليمان ..

الصياد : مات .. ولكن بذرة الحكمة فى سليمان لم تمت .. ها أنذا أمامك أجابهك .. استعد إذن .. فالحرب بيننا سجال ..

الجنى : إلى متى أيها الصياد ؟..

الصياد : (**باسماً**) إلى نهاية الدهور والأجيال ..

الجنى : إلى اللقاء إذن ..

الصياد : إذا أردت لقائى ... فأنت تعرف مكانى ... وأرجو أن لا أراك بعد اليوم فى شبكتى داخل قمقم !..

الجنى : (**باسماً**) ستجدنى داخل لؤلؤة فى بطن سمكة .. أنا أيأس منك أبداً ...

(يسمع دق طبل حزين ... ويدخل موكب رائع يتقدمه الكاهن صادوق والكهنة وآصف بن برخيا ، وأتباع .. كلهم مطرقون ... ويكشف الستار عن جثمان سليمان ... ويحمل على الأعناق ... ويخرج الموكب على دقات فى سكون رهيب ...)

تعقيب على الطبعة الثانية

عندما نشرت « سليمان الحكيم » فى طبعتها الأولى عام ١٩٤٣ ، لم يكن قد وقع بعد ذلك الحدث العظيم فى تاريخ البشرية : وهو انطلاق تلك القوة الهائلة من الذرة ، كما انطلق « الجنى » من القمقم !.. و لم تكن « القدرة » قد ظهرت فى صورتها المخيفة تهدد « الحكمة » !.. ولم تكن الحرب القائمة الدائمة فى أغوار الإنسان ، قد أسفرت عن وجهها الحقيقى ... تلك الحرب بين غريزة السيطرة والطموح التى تمتطى القدرة الجامحة ، وبين الحكمة العاقلة التى تريد أن تمسك بأعنة المطية الخطرة !..

اليوم فى نهاية عام ١٩٤٨ والطبعة الثانية موشكة على الظهور .. يخيل إلىّ أن مسرحية « سليمان الحكيم » قد غدت رمزاً لذلك الصراع الدائر الآن على مسرح الدنيا ... إن الجنى المنطلق من القمقم هو المتسلط الساعة على النفوس ... إن القوة عمياء ، ماناالها أحد حتى اندفع يدوس بها الآخرين ... وإن القدرة مغرية ، ما ملكها أحد حتى بادر إلى استخدامها فيما ينبغى وما لا ينبغى ...

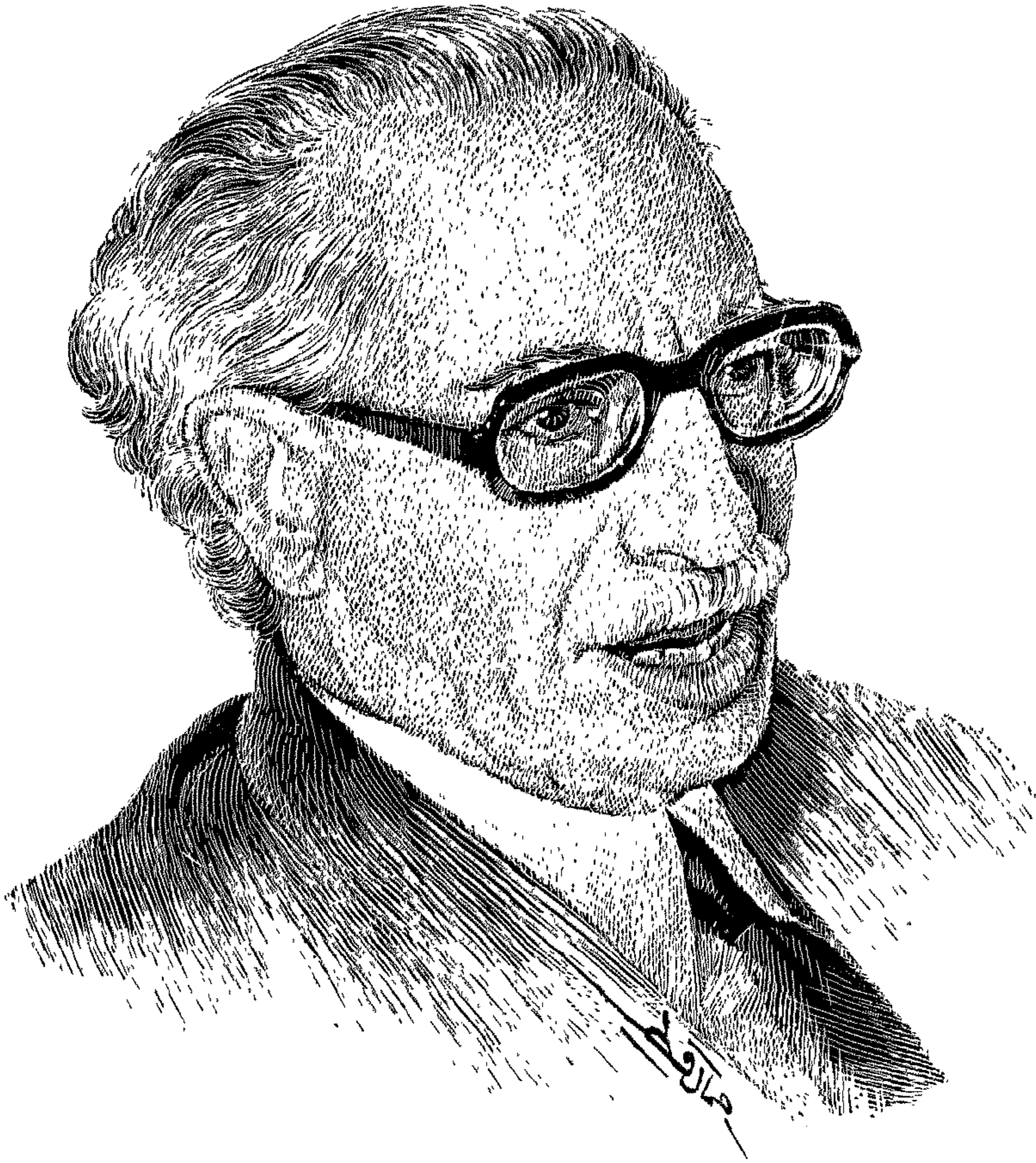
إن أزمة الإنسانية الآن وفى كل زمان هو أنها تتقدم فى وسائل قدرتها ، أسرع مما تتقدم فى وسائل حكمتها ...

إن المخالب فى الإنسان الأول قد تطورت إلى أسلحة حجرية ، ثم إلى سيف ، ثم إلى مدفع ، ثم إلى قنبلة ذرية ... ولكن وسائل تحكمه فى غرائزه لم تتطور إلى حد يمكنها ، فى كل الأحيان ، من كبح جماح القدرة المنطلقة !.. لذلك كان لا بد دائما من وقوع كارثة .. أو حدوث إخفاق .. حتى يفطن العالم آخر الأمر إلى ضرورة « الحكمة » !..

لسنا نطمع ، وقد منحنا هذا الكيان الآدمى بخيره وشره ، فى أن نقتل « الجنى » الذى فينا . بذكائه وعبقريته وطموحه .. ولكنا نأمل أبداً فى أن نقيم مكن نفوسنا الخيرة سداً يقف فى وجه إغرائه كلما طغى !..

ت . ا

رقم الإيداع ٣٩٦٠ / ٨٨
الترقيم الدولى ٩ — ٠٤١٧ — ١١ — ٩٧٧



الثمن ٢٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه